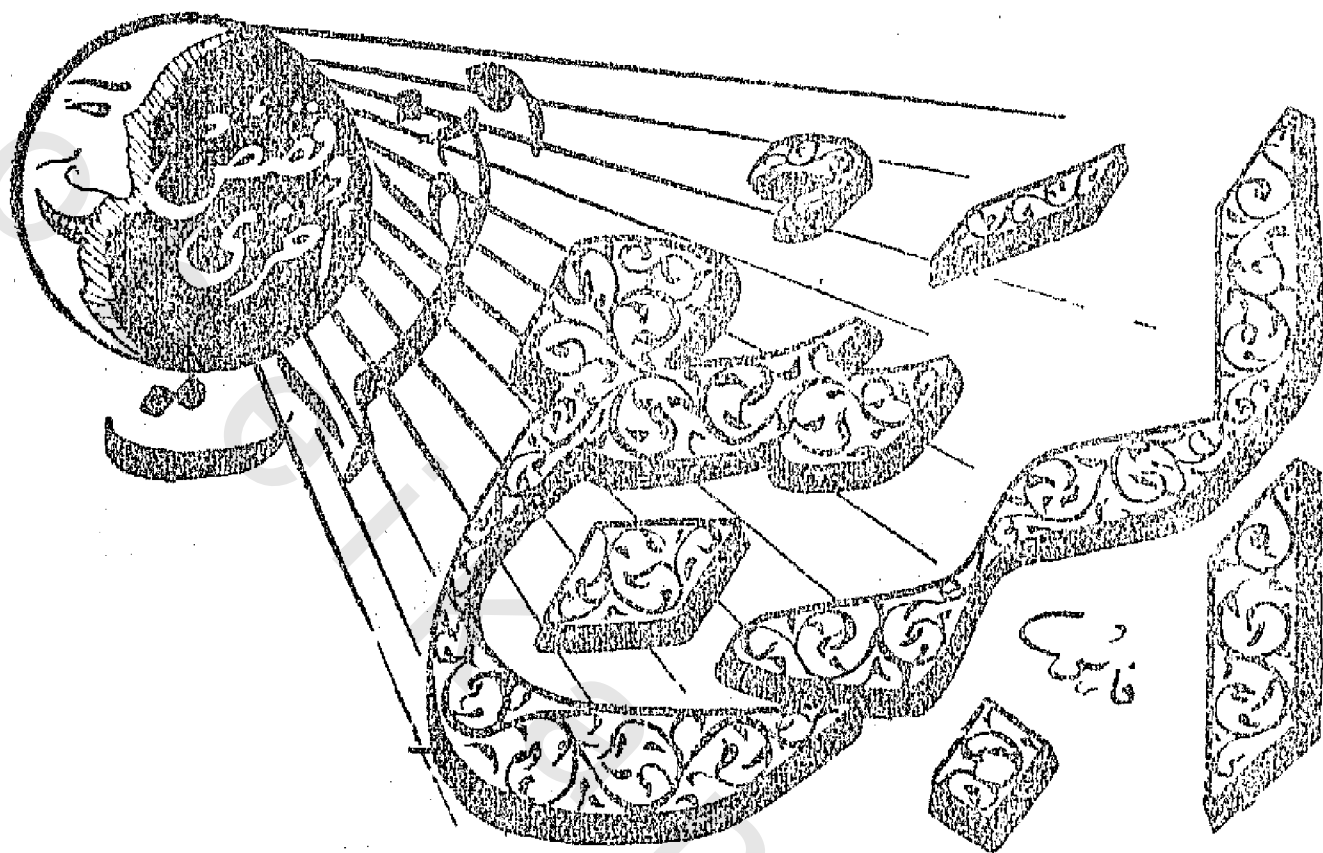




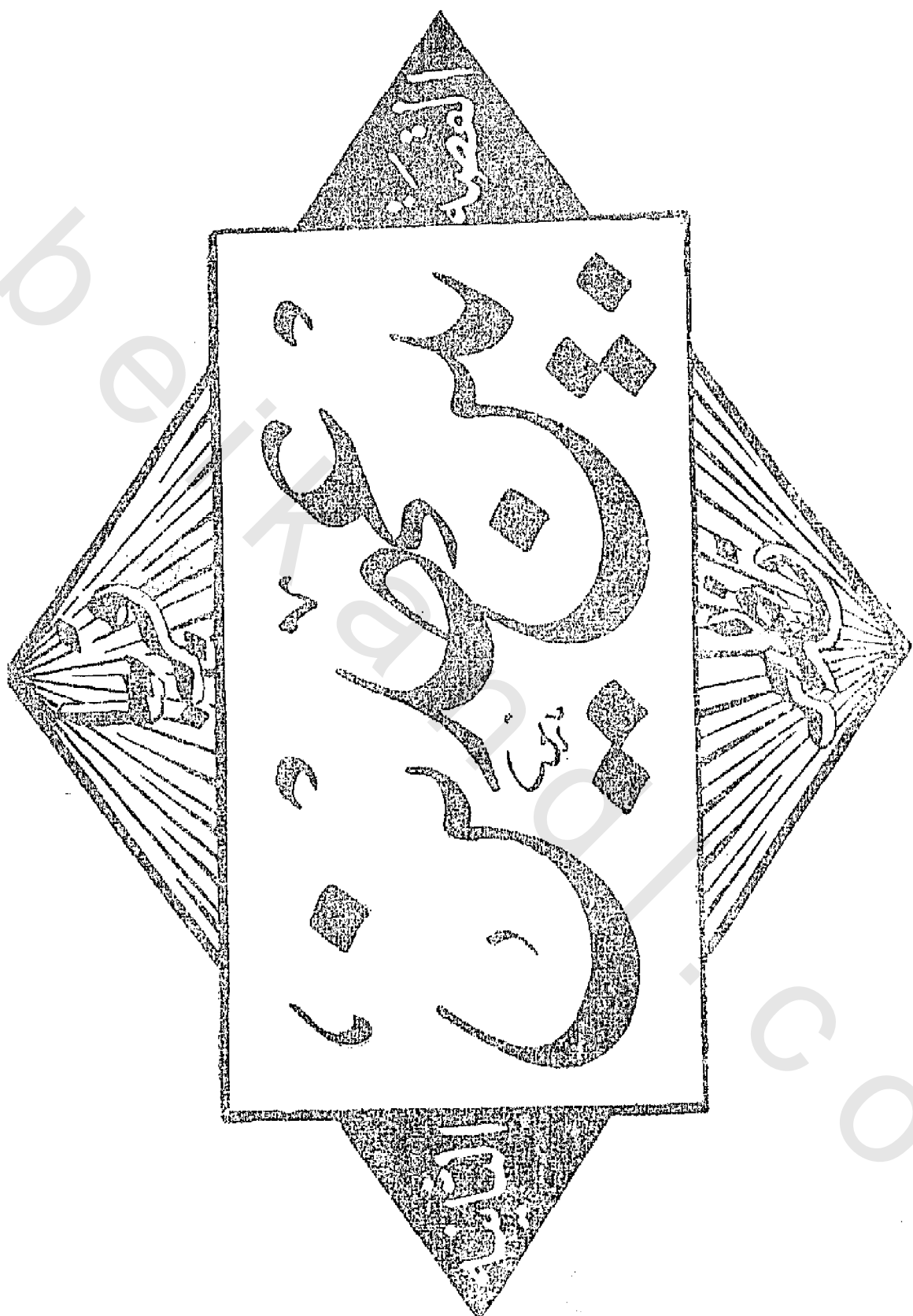
بقلم

هشام قوتش

إكلية الآداب بالجامعة المصرية



obeykandi.com



للمؤلف نفسه

obeykandi.com

والدي... الصابر الحنون

... وعلى أثر ذلك الهتاف الشجي تصحو بالذهن

خواطر دفينه ، وصور حزينة ، وذكريات ...

ها قد تراءت لي صورة روحك الشجية الباكية ،

ونفسك الحسيرة ، وقلبك المحزون . وها هو ذا ماضٍ يحجم

في تلك اللحظة أمامي ، أذكرك نعمت فيه بالرفعة وسعدت

بالجاء ... ونعمنا فيه معك . ولكني سوف أتناسى كل هذا

الآن ، وإن كانت ستخلد أطرافه ولا تنقرض صورته

ما حيت ...

والآن .. يا والدي .. ألا تنسى الماضي الكئيب ؟ ..

روحك لا زالت تبكي !! وإن لم تهتم الدموع السواجم ، أو تجر

شئونك صيباً وتهتانا ... هذا أشقى وأنكد مما لو تتقطر من

مآقيك جامد العبرات ، أو تبعثها سيولا ودجونا ..

ما هذا السكوت المظني يتخلله أنين عميق وزفير !! .

هذا يشجينا أكثر مما يحزنك ويدويك ويلهب جنوبك ..

والذي ...

دعنى أقبر هذا ... وأدفنه فى صدرى الى حين .

\*\*\*

ها هو ذا كتابى .. رحت أنمق فيه قصصاً مصرية ،  
بينما قصتك الالهية المحزنة أروع ما فى صميم مصر ..  
وتلك صورى بعثت فى ثناياها بعض هموم الغير ، وبين  
جنبك أوغل الهموم والأتراح  
إن طيفا يتمثل لى الآن يسائنى بلسانك .. أين  
قصتى يا حبيب ؟ .. ولكنى أجيب .. تمهل .. تمهل ..  
لن أندم اليوم اذا لم تمنح قصتك الحياة وتظهر للوجود .  
هى أروع من أن ينقشها قلم واهن كالذى أحمل الآن .

\*\*\*

لم يحن الوقت لذلك الذهن الكليل أن ينحصب ليعيد  
هد « البؤساء » ..

لم يحسن الوقت لتلك اليراعة الرضيعة أن تنفث لهباً  
وتبعث شرراً ..

ما زالت المقادير تبسم لي خادعة ولما تسكشر بعد ...  
آه لو تدينني خطباً مريراً كالذى ألم بك ، أوزراء  
من الارزاء التى اكتفتك ..

\*\*\*

والدى

أنا اليوم موات وهباء .. ولن أصبح ابنك الرجل ،  
إلا يوم أحمل الى الوجود رسالة ، عاهدت نفسى أن أوديتها .  
هذا من غرس أيديك .. عامتني الأدب بما حملت الى قديماً  
من آثار المنفلوطي . ويكن . وطه حسين . والعقاد .. كأنك  
تكهنت بما تخبئه لك الاقدار وتخفيه ..

هأنذا أهيه نفسى وأعدها لا قوم قريباً بكتابة  
قصتك المروعة ، وأهديها لمصر .. ثم للتاريخ  
تلك رسالتى التى من أجلها خلقت .. وأحيا .. وأصبو الى

أَنْ لَا تَقْرُبَنِي حَتَّى أَتَمَّهَا ، الْمَنُون .

\*\*\*

وَلتَنَسِ الْيَوْمَ مَا أَكْتَنَفَكَ مِنْ وَصَبِ الْحَيَاةِ فِي الْمَاضِي

الْلعين . . . وَلتَنَعِمِ الْيَوْمَ بَعْدَ الْهَدْوِ . . .

وَلتَتَقَبَّلِ كِتَابِي هَذَا ، كَكَلَامَةِ عِزَاءٍ يَهْتَفُ بِهَا إِلَيْكَ

قَلْبِي الْحَزِينِ الْآمِينِ . . .

وَلَدُكَ الْمَخْلُصُ

حَبِيبُ تَوْفِيقٍ

لِلْإِبْرَاهِيمِيَّةِ



obeykandi.com

« امرأة ورجل » : تلك فلسفة الحياة التي تتمشي في عروق الأجيال ، وتنساب في شرايين الزمان ماضية دون تقطع حتى تنصب في محيط مجهول الحدود والأسوار . وإن داخلك الريب ، فتصفح مظاهر الحياة بجليها وحقيرها تعلم مدى صدق النظرة التي جنح إليها « فرويد » وأشياؤه يوم فسروا التاريخ على أساسها . !

وما دامت القصة تصويراً للحياة ، ومراة لما فيها من مظاهر ، فعليها أن تعالج مشكلة هذه « الوحدة » التي تضم في سمطها عنصرى : « الرجل والمرأة » والتي كانت وستمكث مسرح الفكر ، ومرتع القلم ، ومجال الذهن أبداً بدين وليستنكر « برناردشو » القصة التي تقوم على الحب ماشاء له هواء . فلن يعيش رأيه أكثر مما تعيش الموتى في اكفائها . وسيظل « فرويد » أقرب الى الحق من « شو » في زعمه . بل قل من « ماركس » في نزوعه الى تفسير التاريخ على أساس المال . ومن غيره ممن ضلوا السبيل

إلى المحور الذي تدور حوله رحي الحياة ..  
وليست مهارة الفنان في « خلق » عنوان جديد  
بالموضوع طريف . فقد يتناول الأديب المطبوع موضوعاً  
طرقته الأقلام حتى عافته الآذان . فيخلق منه صورة فنية  
تجرى الحياة في أعصابها ، وتتمشى الروح في جسمها . وما زال  
الحب في طبيعة الموضوعات التي قاما تجنب عنها الأقلام الفنية  
ولكنه يخلق من أصحابها - بين حين وحين - من يعيشون  
في أفئدة الأجيال التي تعقبهم ، ويخلدون في مهجة المستقبل  
الآجل . فقدرة الفنان على هذا النحو ، لا تنحصر في غير  
الشعور بما لدى الناس من عواطف إنسانية لا تحدها ذواتهم  
ولا يكتنفها زمانهم . ولا يلبث أن يحس بها حتى يسيل بها  
قامه حية تهتز وتسمى ... ونحو الوجود الحافل بالحياة تخطر  
وتتغنى ، وبذلك ينكشف الغطاء ليراها الذين يملكونها ولا  
يحسونها . وتلك صفة الفنان المطبوع على نحو ما يذهب  
« جيتي » في تعريف الأدب الصادق . إذ هو في رأيه :

“ Open Secret, open to all, Seen by almost none ”

« سر واضح ، واضح أمام كل إنسان ، ورغم ذلك  
لا يكاد يراه إنسان »

وإذا كان هذا في حدود منطقك يا عزيزي القارئ  
كان من السهل أن تعترف معي بأن كلام الأديب عن  
موضوع مطروق ليس معرفة له ولا منقصة . فدع عنك رأي  
« برناردشو » ومن يشاطره زعمه في القصة التي تقوم على  
الحب ، مادام القارئ لا يستطيع أن يستل قيمة الموضوع من  
عنوانه . لا بل سأمضي بك إلى أبعد من هذا ، فأقول لك  
إن مغزى القطعة الأدبية لا ينطق بثمها ولا يتحدث عن  
قيمتها ذلك لأن الأدب فن طلق ، يرمي إلى الجمال ولا يحكي  
المعاني كما يحكيها العلم . وقد كان « جان جاك روسو » أديباً  
عبقرياً مطبوعاً ولكن أفكاره التي أذاعها على الناس نخلتها  
وخلدته ، قيل عنها أنها لم تكن جديدة ولا مبتكرة . إذ نادى  
بها قبله كتاب ذوو مركز ومكانة . ولكن « روسو » تفنح

فيها الحياة بصيغة تحريرها وأسايرها المكتابي .  
فليس الذي يعنينا في القطعة الأدبية عنوانها . لا .  
ولا حتى مغزاها . بل قلبها الذي صبت فيه ، وطريقة  
عرضها ، والمنطق العاطفي الذي يتمشى في أوصالها ، والروح  
التي تدب في جثمانها ، وتخلع عليها الحياة المرحية الطليقة ، !  
وليس في وسعك أن تستبين هذا في قطعة من عنوانها أو  
من مغزاها الذي يخنق الحياة فيها ويتركها جسام من غير روح  
واحسب القارئ الكريم قد أدرك الآن اني لن أخلص  
في مقدمتي قصص هذا الكتاب الثمين لاني لم أكلف  
بتشويها ولم أطلب بمسخها بعد ! فالكتاب أمام القارئ  
فيلق بنفسه في محيطه ، وليضرب في زحمته ، وليعب من  
فيضه ، يدرك كنهه ويعلم قيمته  
ولن يخسر القارئ شيئاً فالكتاب مجموعة قصص  
تتأرجح تحت تأثير الحب الذي يغلي في باطنها . والقصة ألد  
من المقال . ويحضرني في هذه اللحظة مجلس ضمني والأستاذين

(المقاد وسلامه موسى) في ليلة نشر فيها أحد محرري البلاغ مقالا زاد فيه عن « القصة » ولطم « المقالة » وأذكر أن الأستاذ سلامه قال - وقد ورد ذكر هذا المقال : إن الذين تثقفوا بالثقافة الفرنسية أمثال ... يجاون من شأن القصة إذ قد جهاوا قيمة المقال وهضموه حقه . وأذكر أن الأستاذ المقاد لم يشاطره رأيه وإن أحجم عن تجريحه . وحسب الأستاذ سلامه رداً على رأيه أن يقال له : إن أكبر البواعث التي جمحت بالشبان عن قراءة ما يكتبه زعماء الأدب عندنا هو خلو آثارهم الأدبية من القصة ، إلا قليلا ، ولو أنهم خاضوا غمارها وأعلنوا خواطرهم عن طريقتها ، إذن لكان للادب في مصر شأن غير هذا الشأن

قلت لك إن القصة ألد من المقال ، ولا سيما إن قامت على حب يغلى ويستعر .. فهل وألق بنفسك في محيط الكتاب مطمئناً من الاحساس الذي أبرزه والقلم الذي صوره . فصديقنا « حبيب توفيق » شاب في جسمه وشعوره ..

ولكنه كهل في تجاربه مع الجنس اللطيف .. ذلك أنه  
ظفر بحب ملاً قلبه، واستثار عاطفته، وأنضج شعوره، وأطب  
إحساسه. ثم أدرك أن الحب يطعم في الطغيان عليه فتاومه  
في صلابة وعناد، وكبرياء وإباء. ثم أحس بأن لهذا الحب  
مدداً يجيئه بين حين وحين، وخشى على نفسه أن  
تصهرها ناره، فركل حبه بقدمه، والدمع يتأرجح في عينيه،  
ونار الحب تذكو بين جنبيه

وظل طيف هذه الفجيرة يترأى له بين الفينة والفينة  
حتى أملى عليه هذه الصور التي تراها مسطورة بين يديك  
منشورة أمام عينيك. فهي ذوب قلبه، وفيض عاطفته،  
سالت على قلمه، فجري بها كلمات توشك أن تنطق  
لتحدثك بأنها كانت سلوى عند قلب يستمد منها راحته  
وعذابه، سعادته وشقاءه. وما أمر العزاء إن صاحبه الذكريات  
الالمة ... وما أمض السلوى التي تشير مجثم الالم وهيج  
ممكن الداء

ولكن صاحبي على الرغم من هذا كتوم . فقد صادقته منذ زمان طويل ، رأيت فيه شرر اللهب المستعر في قلبه حتى دفعني الحنين الى محاولة الكشف عنه . ولكنني أحجمت مخافة إحراجة . واستمر صديقي على كتمانته حتي ضمنتنا جلسة فذة ، شملتنا فيها العزلة والوحدة ، وأنفجر قلبه فانطلق يحدثني عن مأساته في نبرات تفيض بالأسلم المرير ، ونغمات تهتز من عنف الذكريات . حتي أحسست وأنا منصت له . ولا أكتمك الحقيقة يا عزيزي القاريء - بأن الحرارة التي تجيش بقلبه قد سرت إلى قلبي - البارد طبعاً - عن طريق التأثير كما يقول علماء الطبيعة . . . !

وما زلت إلى الآن أيها القاريء الكريم . كلما قابلت هذا الصديق أحسست بالحرارة تتمشي في جثماني . ولست أرى علة ذلك . . . !

وهو لذلك كله يؤدي بهذا الكتاب رسالة الحب الذي آذاه ، فدفعه الأذى إلى عبادة وتقديسه . وخلع عليه الألم

العميق واللوعة الدفينة ، فانطلقت كل جارحة في جسمه  
لساناً يُسبح بالحب ويرتل دعواته . . . ! وحسبك أن تقرأ  
« قيود وأغلال » لترى انجيل الحب كيف يرتل في أمانة  
واخلاص ، والهمة كيف يُعبد في نزاهة وإيمان ، ولترى  
كيف يصور المؤلف حق الأدب الغير الذي لا يعتبر  
كتاب الحب انجيلاً ينبغي لأبنه أن يرتله في كل آن . . . ؟  
أو اقرأ « عواصف » لترى كيف تقف الأخوة في  
معبد الحب يحوطها الاجلال ، ويكتنفها الايمان تصلى  
وتعبد . . . ؟ ! أقرأ هذا وغيره تدرك حملة المؤلف على المجتمع  
الذي يُناصب الحب العداء ، وتعلم ما يخلقه الحب من عبقرية  
تتواري يوم تغرب شمس ، ونبوغ يميل الى الانحلال يوم  
يُكبت الحب لينحدر الى الزوال . . .

ولقد حدثني نفسى في جرأة غريبة ، أن أتناول  
موقفاً من مواقفه التحليلية فأعاجله مفسراً ومعلقاً . ولكنى  
عدت مقراً بالحق وقلت لنفسي : « وماذا تفهم يامسكين في

الحب .. وحرارته .. ؟ أجل .. حرارته بصفة خاصة .. !  
وهل هناك فرق يترى بين حرارة الحب و ... حرارة  
الشمس .. ؟ ! ثم ما جوهر هذا الفرق وما أعراضه .. ؟ ؟  
تلك مشاكل ورطك فيها صاحب الكتاب ، حين وضع  
فيك ثمنه الغالية .. حقيقة قد رأيت الحب بعينيك ،  
وأحسسته بقلبك في حبيب . « وحبيب هنا اسم علم يراد  
به حبيب توفيق صاحب الكتاب الذي بين يديك »  
وحقيقة قد سمعت عن الحب .. في الكتب كما يقول  
العوام . ولكن هذا لا يكفي إذ لا بد من التجربة . «

وانتهت عدالتى مع نفسى يا عزيزى القارئ ، بأن  
ترك لك الكتاب تسبح فى محيطه لتعلم قيمته . والآن  
الى أسلوب الكتاب :

من الكتاب من اذا جرى على الطرس قلمه ،  
انكشفت فكرته فى وضوح ، وبرز خاطره فى جلاء ،  
وطالعك رأيته سافرا ، وحدثك أسلوبه ناطقا . هو صفاء

قوامه السفور أو الجمال أو مزيج منهما . ومن الكتاب من  
إذا خطر على الطرس يراعه ، أفصح لك عن رأيه محجبا ،  
ورمى اليك بخاطره من وراء ستار . هو غموض قوامه  
العمق مرة ، والقوة ثانية . والحذقة ثالثة . ومن أصحاب  
القلم الأول عندنا : سلامة موسى « سفور » والمنطوي  
« جمال » وطه حسين « مزيج من سفور وجمال » ومن  
أصحاب القلم الآخر : جبران خليل جبران « عمق » والعقاد  
« قوة » والرافعي « حذقه »

ولنحرص على القول بأن هذه المناحي ليست مستقلة  
تمام الاستقلال . وإنما هي متداخلة الى حد كبير . ثم نتساءل  
بعد الحرص عن أى الفروع يندرج تحته أسلوب « حبيب »  
ونظرة واحدة الى أية صفحة من صفحات الكتاب ،  
تنبئك بأن أسلوبه قد ظفر بفرعين ، وأخذ منها بحظ  
وافر . ذلكما هما : الجمال والقوة .

وقد ساعده على الظفر بهذين العنصرين « ثروة لغوية »

طائفة ، وقدره علي « نحت الألفاظ » تبعت علي الدهشة  
والمعجب . فأما عن الثروة اللغوية فستحسبها دون وعي وهي  
تسيل في كل سطر ، وتنساب في كل فقرة ، طيعة دون  
جموح ولا شرود . حتى يصور لك المعنى الموجود في الذهن  
بارزاً ينطق أمامك ويتحدث

وأما عن « فن النحت » فحدث ولا حرج وستحس  
وأنت تقرأ هذا الكتاب بأن المؤلف قبل أن يضع اللفظ  
لا بد من أن يمضي في نحته وتسويته « وَحَنَّتْ فَتِيهِ وَتَذَنَّتْهُ »  
ثم يستمع بعدها الى رثته وموسيقاه . فان نجح اللفظ في  
هذا الامتحان الدقيق وضعه جوار أخواته ، وشدا معها  
لحها الطروب . فان أحس بنشاز ، تناول اللفظ والقي به  
بعيدا في حنق وتبرم

وما شهدنا نقيصة تبين في أدب « اناتول فرانس » أو  
شيئاً من الكلفة يضح في شعر زهير بن أبي سلمى . وكان  
الأول كلفاً بالاناة في اختيار اللفظ المنمق ، وان أجهد

اقتناصه ساعات أو أياماً...! والثاني لم يكن لينظم القصيدة  
في أقل من أربعة شهور، وينقحها في أربعة شهور، ويعرضها  
في أربعة آخر، ثم ينشرها بين الناس...! ولقد شاكاه  
في منزعه هذا الخطيئة وكعب ومروان بن ابى حفصة وغيرهم  
ممن امتازوا بدقة في البيان وإن كلفتهم أناة وصبراً وجهداً  
كبيراً... وقد حدثتكَ عن حب « حبيب » وبيانه. وفي  
هذا تقدر وحكم على كتابه

ولكن هذه العناية باللفظ - فيما أعلم - قد خففت قليلاً  
من قوة الحرارة التي كان ينتظر أن تصيب القارئ  
من جراء قصصه واستبدلتها بأعجاب عظيم بهذه القدرة  
المعجزة على « نحت الألفاظ ». وستعبر السكتاب من أوله  
إلى آخره، معجباً بهذه الرنة الموسيقية التي تتمشى في شرايينه  
وتدب في أوصاله، وتنساب في أعصابه، وتسرى إلى عروقه  
حتى يفتتك سحره، وتسكرك عذوبته

وليس من شك في أن هذا الأسلوب القوى الجميل

أصل رئيسي للقصة القصيرة . ففي وسعك أن تسيغ المقال  
أو القصة الطويلة إن كان الأسلوب ضعيفاً بارداً . أما القصة  
فلتسلسل حوادثها نهاية قريبة المدى ، ولهذا تعوزها القوة  
والحرارة والجمال . وإن شئت دليلاً يوضح لك هذا فمليك  
بالاستاذ سلامة موسى كاتباً وقصاصاً !!

والآن أشعر بأنني أنهيت ولكني لا أستطيع أن  
أرفع القلم دون أن أبسط رأي المؤلف في اللغة وقواعدها  
ولكني قبل أن أعرض رأيه ألفت النظر الى المذاهب  
التي تنبسط بينها فرجة الخلاف :

وأولهما : يستنكر التطور ولا يسيغ الخروج عن قواعد  
اللغة ، ولا يسمح بلفظ معرب أو ما يشبه هذا من  
كفر بقداسة اللغة العربية ، التي لا لغة وراءها في  
زعمهم . . وفي طليعة زعمائه الرافعي و صادق عنبر  
وثانيهما : طلق يحد نفسه بغير حدود فيبتكر من الألفاظ  
ما شاء ، ويوجد من قواعد اللغة ما يريد وفي طليعة

زعمائه رجال الرابطة القلمية بنيويورك (جبران خليل  
وميتخايل نعيمة وأمين الريحاني الخ) وسلامه  
موسى القائل : للأديب أن يكتب وعلى النحاة أن  
يجمعوا !

وثالثهما : معتدل يسائر القواعد المتفق عليها في حدودها ،  
ولكنه لا يتورع أن يقول لك : أتومويل وتليفون  
وفي طليعة زعمائه طه حسين وهيكل . والمؤلف يأبى  
الأن أن يحن الى المذهب الثاني وينزع اليه ويرضى  
بأن تبتكر ألفاظ جديدة ، قد تكون أصدق في  
التعبير دون مرادفاتها ، وتبعد في ذات الوقت عن  
الغرابة والحوشية

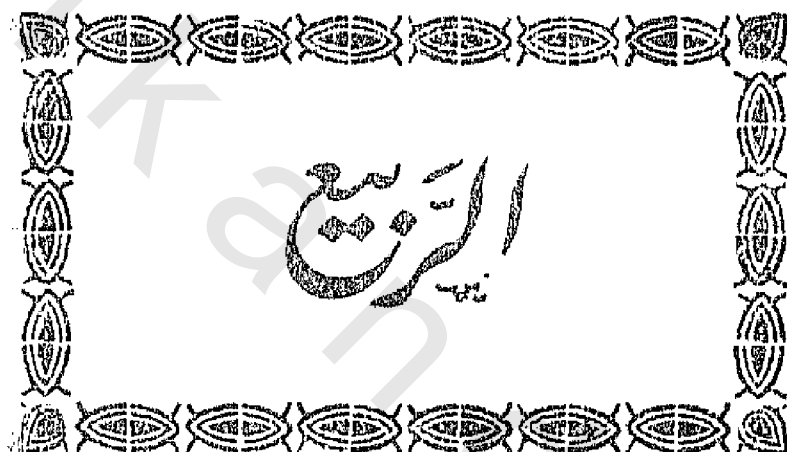
هذا رأى وقفت على أن صاحبي يذهب اليه ونظراً  
الى أنى مكلف بأن أقدم كتاب صديقي الى القراء قد  
أوضحته في جلاء ، وأحجمت في الوقت نفسه عن  
تحييده أو نقده

تلك مقدمة لا تغنى عن تذوق ما بين دفتى الكتاب من  
فن يسحرك جماله ، وتفتنك روعته ، فامض فى تلاوته وأنعم  
النظر فيما تهفو اليه روح كاتبه تعلم عمق نظراته ، وحسبك  
إحساسه يطلان عليك من خلال أسلوبه القوي الرصين  
وتدرك أن المقدمة التى أوشكت أن تنتهى من قراءتها الآن ،  
قد أظلمت الطريق التى كانت معدة لانارته .

توفيق الطويل

قسم الفلسفة بالجامعة المصرية

obeykandi.com



obeykandi.com

— إيسـثون... إيسـثون... أتحييتنى ؟ ..  
أنة من قلبه المضى الوجيع رددتها الشفاء كلاماً ،  
وبعث بها فيض الحب الطاغى على مشاعره ألحانا وأنغاماً ،  
وأنفاس عميقة حارة لمشت جوى وزفرت وجداً وهياماً .  
ثلاث كلمات فحسب ، هى لمن أرهف لها أذنا واعية  
ثلاثة ألحان ، أندي على النفس من تفحات الجنان ، حلو  
الوقع عذبة النغم ، تغريد حنون تحاكيه موسيقى شديدة  
الأسر قوية السحر ، حتى ليجنح بك حساك المخدر لدى  
وقعها المنسجم الرخيم ، الى أنها سائلة من أكناف السماء .  
ولشد ما يثب الى ذهنك أنها خراعة أحد الملائكة الى  
خالبة لبه ، إن كان ثمة حب بين الملائكة كحبنا

ما كاد يهتف بالأولى منها ، حتى شعر بجمال ذلك الاسم  
العذب يتشدد به فمه وتتأرجح به شفتاه ، ويوحى اليه بترديده  
فؤاده ، فكان يطمح في لين وحنان وهواده ، ثم اذا به وهو  
أمام من يعلن اليها دفين هواه ، يخشى ألا يفي ذاك الهمس

الميق بتبليغها رسالة قلبه مسطورة بالألحان فيعود يكرر اسمها  
وكأنها أفاق من نوبة غشيتها ، ولكن بنغم أحر من الأول  
وأرق ، وأوقع منه أثرًا على الوجدان

وبعد أن نشر لها صحيفة قلبه ، وما تنطوى عليه حباته  
في تلك النغمات الفردة الخافتة ، والنبرات الشجية الساجية ،  
إذا به بعد ذلك الاعتراف الذي صورته في هاتين الكامتين ،  
يود أن يقف على كنه احساساتها ، فيشفعها في تلك الموسيقى  
التي تصور بجلاء أروع معاني الضراعة بقوله « أنجيني ؟ »  
أما سمته ، فقد ارتسمت عليها وقتذاك علائم يصعب  
على المرء أن يدري كنه مبعثها ، أهو القلق أم الطمأنينة ،  
اليأس أم الأمل ، سعادة الحب أم شقائه ، رضى نفسه أو  
حيرتها . ولكن كان يروى أن تنعم النظر الى محياه طويلا  
وقد غمره احساس الحب والهيام وفاض ، فبانت صورته الجميلة  
على وجهه لتفصح عما يداخل القواد أو يكمن بين طيات  
النفس ، من معانٍ شتى ، وأحلامٍ كبيرة معسولة ، وأمان

واسعة ناضجة ، أو ما يناقض ذلك من ظواهر وجدانية  
إذا ما تملك النفس يأس من الحب وقنوط.

فتارة يبدو لك قلقه ويبين ، تنبيء عنه أنفاسه المضطربة  
الحارة ، يرتفع لها صدره الخفاق ويهبط في غير شدة ، وتارة  
الطمانينة ، وقد أفصحت عنها عينه الناعسة ، بعد أن صوبها  
إلى وجه « ايثون » يستمرى جمالها الفاتن تحوطه الغفة  
ويرف عليه الطهر ، أو اليأس أو الأمل ، وقد انفرجت شفتاه  
الرقيقتان عن بسمة ضئيلة تكاد لا تلمح ، أو تكون  
النفس أو اضطرابها ، بعد أن أطبق كلتا يديه على موطن  
غرامه الدفين من صدره بقوة ، كأنما أراد تهدئة دقاته العنيفة  
أو خشي أن يثب ذاك الفؤاد الشائر من بين جنبيه الواهنين

\*\*\*

سادت فترة سكون وصمت ، بل فترة رهبة وجلال  
خيم فيها الهدوء فلم يكن يسمع غير خفقان قلبه العامر ، وقد  
أضرم لهب الغرام ، وقلبها النقي وقد ابتدأت تسيل إلى

شعابه ، وتتدفق في سويدائه ، أشعة حب رضيع ...  
وبعد لحظة أحس النبي أنها مديده ، استسلم الكلمة  
القضاء تخرج من فيها .. فاما الموت وإما الحياة .. شعرت  
« إيغون » أن قوى اعضائها قد تلاشت إلا عضمواً واحداً ..  
إلا ذلك القلب الذي تحمله وقد سرت حياتها اليه ، وأحست  
أنها موات وهباء بغير الشعور الذي استشعرته ، يداخله  
ويسرى اليه منذ تلك البرهة القصيرة : فيكسبه صخباً  
وينفث فيه ثورة : ولكنها ثورة الحياة ...

قالت وقد اشتدت علائم الخجل ظهوراً على وجهها  
المشرق الجميل وبعد أن طأطأت رأسها في تريت ورشاقة  
لم تتكلفها

وأنت ... ؟ هل تحبني ... ؟

أنا ؟ إنك قاسية .. إيغون ! إن أقل ما أعبر لك به  
هو أني أعبدك .. أو لم تعرفي بعد وتوقني أني متم بك  
يذويني هواك ؟ إيغون ماذا أقول لك وكل ما بي

يانيء بالهوى وينم عن الغرام . أو لم تتأملني جفوني ؟ . صوبي  
اليها بصرك . . هاك انظري . . أو لم تدركي أن المدامع  
أذبلتها والسهد كحلها ؟ . . ثم قلبي هذا .. قلبي لا يزال  
يشكو ويشن . . هات أذنك بالله وتسمعي ما يفصح عنه  
من أناته وشكاته . . وشفتاي يابنة العمة . . أو لم ترقصا  
أمام ناظريك مرات وتضطربا من حميا الشوق و نار الهوى  
وهاك الدليل يا محبوبتي . . ثم هوى بشفتيه الحاريتين على  
فمها لأول مرة ، بعد أن طوقها بذراعين مضطربتين . .  
وألصق صدره بصدرها الناهد الجميل . .

وفي ذلك الوقت ما أفصح ما تكلم به فؤادها في  
خفتانها ، وما أطيب وأزكى ما انبعث من تفحات زفرائها  
الحارة ، تحمل الى الوجوه آهاتها عبقة بأحلى من البخور  
وشذى الزهور . أقام رأسه قليلا . ثم قال :

— هل تأكدت اذن من حبي لك ؟ أأحسست حرارة

القلب المتقدة ولهبه المستعر ؟ ألم توحى لك الشفاه بسر الفؤاد ؟

تنبّهت ايّشون وأفّاقت ، ووقع بصرها على جلال ذلك  
الحب العذرى الصادق ، يتمثل في ذلك الخاشع يتعبّد أمام  
هيكله . واذا بتصدى أنته ظلي يدوى ويدوى لحناً متواصلاً عذراً  
في أذنها . وكأن هاتف فؤادها راح يردد اسمها ترديداً موسيقياً  
وصور لها ذهنها الشارد ، أنها تغرق في موجة من أحلام الكرى  
وأخيلته ، وأن روح ملك من السماء قد هبطت وتقمّنت فتاها  
الذى يوحى اليها بآيات الحب والغرام . واكتسى المكان في  
عينها حلة مزدهرة زاهية ، وانشق فيه بريق سنى أخاذ في  
كل نواحيه ، وفاح أرج الحب الطيب ، وشذاه الزكي . تنفّخ  
له فؤادها خفقات شديدة ، فخيّل اليها أنها تشاهد سنى وهاجا  
ونوراً قوياً . وهيء لها أن الملائكة قد رمقنها من العلياء في  
مشهدهما هذا ، فاقبلت ترفرف حولهما بأجنحتها ، وتترنم  
بأهازيج الحب ، وتسبيحة الغرام .

استشعرت قلبها يخفق لذة أسمي وحبورا ، وأحست  
روحاً جديداً بدأ يطغى على فؤادها . روح ميل وحنين الى

ذلك الجالس بجانبها على الأريكة . وأعدت اليها مخيلتها  
صورته وهو يضرع اليها منذ برهة ، ويهتف من أعماقه باسمها  
فأدركت أنه حبيبها الذي عشقها وتيم بها . فامتدت منها اليد  
ببطء اليه ، وأمسكت بيديه في لين وهوادة ، واجتذبتهمما  
برفق الى صدرها .. ألي مكان قلبها منه لتعلنه بأن عدوى الحب  
قد سرت الى شعابه ، وتخللت حياته . ثم قالت :

— وهل تحبني من زمن يا بن خالي ؟ ..

— من زمن ؟ نعم من زمن طويل جداً .. وفكر  
برهة قصيرة . ثم استطرد قائلاً

— من يوم ولدت

فاقتن ثغرها عن مثل اللؤلؤ الخلاب ، وقد استشعرت  
ديب الشغف به والميل اليه ، قد بدأ يندو في فؤادها وروح .  
وقالت في خفة ورشاقة

— إنك تضحك علي ! ..

— بل أنت تسخرين بقولي .. ألم تعرفي أنني من

ساعة نزلت من بطن أمي إلى هذا الوجود، صرخت وهتفت  
باسمك ؟ .. ولأنك لم تكوني قد ولدت بعد ، لم يدرك  
أحد معنى لصياحي ، أو يفهم سر عويلي . واستمرت أبكي  
أغلب ليلي وطيلة نهارى ، وأنا أرددين الفينة والفينة هوى  
واهتف باسمك ، بلغة لا يفهمها إنسان أو جان . حتى شاء الله  
أن تولدى ، فكنت من مهدك أُملى المنشود . وكدت أجن  
منذ تلك الساعة ميلا الى رؤيتك ، وقضاء الوقت بقربك .  
وعلى الرغم من أن والدي "كانا يصدّاننى عن أن أكرر من  
توجهى اليك ، فقد كنت أولول لها وأبكي حتى تحمر منى  
المآقى ، فيسمح لي مرغمان بما أريد ..

فأذهب أسبق الريح الى دارك ، حيث ألقاك فى حجر  
عمتى ، أو محمولة على ذراعى خادمك ، أو نائمة فى عربتك  
الصغيرة ، أو عابثة فى أرجوحتك ، فاحتضنك بشغف  
وشوق ، وأهوى على فمك الحلو لثما ، وعلى رضاك العذب  
ارتشافا .. وكم وقمت الى جانبك وأنت ترتضعين ثدى

أمك فأهش الذباب ، وأبعده عن أن يقرب وجهك البهي  
الجميل .

أما ساعة تحضر الخادم لتعود بي الى المنزل فقد كنت  
أفضل عنها ساعة الموت .

فقلت وقد ارتاحت الى روايته ، واستولى على وجهها  
البشر والسرور

— وبعد ذلك . . أأكل ما عندك . .

قال :

— ثم أفعل بعد الظهر وبعد تناول الغذاء ما فعلته في  
الصباح ، حتى يسمح لي بالعودة اليك . فاذا ما سألت عنك  
ساعتئذ فوجدتك نائمة ، ذهبت الى الخادم استعطفها  
وأوحى اليها لتوقظك وتحملك الي . وما بلغت الثانية من  
عمرك حتي كنا لا نفرق إلا ساعة النوم . وكثيراً ما كنت  
أخترع الحيل لا أتمكن من النوم عندكم ، حيث يظنني وأياك  
سقف واحد . ما كان أسعدني وقتذاك يا يثون . .

— أو تذكر كل هذا يا بن خالي ؟ ..

— كيف لا .. بل أذكر لك ما هو أجمل وأروع .

أذكر أنني كنت أتلقى درساً في اللغة الانكليزية ، عن مدرس كان يحضر يومياً للمنزل . وكنت وقتذاك في الخامسة من عمرك أو أكثر . وكان هذا المدرس قاسياً ، لم تبدر لي منه بادرة يلوح في ثناياها العطف ، أو تبعها الشفقة لا ينني عن أن يكيّل لي الصفحات الرنانة بين حين وآخر ، اذا ما وجد من البال انشغالا ، أو من خواطر الذهن توقفاً وشروداً . أذكر انك كنت بمنزلنا في يوم من الأيام . وكنا نلعب سوياً ونمرح . فاذا به يقبل في تلك الساعة الحلوة البهيجة . وكان أن أوقف صفونا ، وكدر علينا حبورنا . ومما زاد الطين بلة ، أنني لم أكن قد أعددت له موضوعاً انشائياً طالبنى بكتابته . وما كان أكرمه يومذاك في اللبس والصفع ...

آه ... لا زلت أذكر ذكري الأئس القريب .

وأستدرج الى مخيلتي صنيعك البرّ ، وشفقتك الخالدة يا بنه

العمه ! . . ثم اغرورقت عيناه وكادت تنهمر منهما الدموع  
لولا أنه أخرج منديله ومسحهما .

قالت وقد اشتد تأثرها . وحنّت الى أن تستطاع هذا  
الذي صنعت له .

— بالله قل ماذا فعلت لك ! . .

— إنك بكيت من أجلى يا حبيبتى . . لقد عز عليك أن  
تشهدينى مياناً حتى فى طفولتك الساذجة  
فنكست رأسها قليلاً ، وتبسّمت حياءً ، وطفرت من  
عينها دموع سالت على وجنتها المحمرة ...  
واستطرد هو قائلاً ...

وبعد برهة ألجم فيها لسانى فلم ينطق ، صرخ فى وجهى  
صرخة الناثر الحق ، وصفعنى صفعة شديدة تأوّهت منها  
وأجهشت بالبكاء .

فتجهم وجهه ايّشون قليلاً ، وانتشر على ورد خديها  
كدة ممتعة رفيقة ، دلالة على غضبها المشوب بمطف عليه

وحنين اليه وقالت محتدة ...

— أما مدرس طويل اليد جداً

— ولكنك سرعان ما قذفته بكرة في حجم البرقالة

كانت في يدك وقتذاك ، قذفة كادت تقطع لها عينه لولا أنها

انحرفت الى الأسفل بقليل

وهنا بانت علام الارتياح والطرب ، كأنما أحست بانها

أولت حبيبها جميلاً ، وأسدت صنيعاً جميلاً ، إبان كان غرامه

لها رضيعاً

وقالت

— هذا قليل اذا قورن بما اقترفت يداه وآذتاك به . .

قال

وأذكر لك أيضاً حادثاً ، كلما طاف بذهني وأوردته

خواطري ، ابتليت الى الله أن يحقق منه أملنا

قالت بتلف

— وما هو ؟ . .

قال

— كنا مرة نلعب في حديقة منزلنا ونمرح ، ونزور بين  
الأزهار النقيع ونلهم . وكانت الأرض وقد غطى أغلبها  
سندس وريحان ، مبللة كما لو كان قد كساها نسج من  
الندى اللألاء ، لحداثة عهدهابالري . وأطربنا مشهدالأزهار  
والشقائق والورود المبتوثة في أنحائها ، يناغيها نسيم خافت ،  
رقيق فتهايل على بعضها كأنما تتعانق وتتلاثم . .

فأسدلت جفنيها واستطرد هو يقول . .

— وأخذنا سحر هذا المنظر واستوى على قلوبنا .  
وأحسست أن قطعة من التاريخ تكمن في هذا المجثم المزدهر  
وأنها ترنو الى بعين تبعث في خلدي أشعة الحكمة والعقل  
الكبير ، وأنها تبعث في إلهاما ووحيا ، لاسطر على صفحاتها  
الصفافية عهد المستقبل . . . عهد ربيع الحياة . . .

قلت في نبرات رزينة عاقلة ، كمالك التي يفوه بها

رجل حكيم .

إيشون . . هيا بنا نزرع هنا زهرتين بأيدينا، نعهدهما  
ونرويهما ونشذبهما ، فينميان ويكبران دليلاً على صداقتنا  
هذه ، وحفظاً لعهدهما الجميل من الانحلال أو الضياع  
فوجدت النكرة عندك قبولا ، ولقيت استحسانا .  
وذهب كل ينتقى زهرة تروقه وتعجبه . وبعد برهة كنا  
قد انتهينا من غرسهما متجاورتين .. في جهة من الحديقة  
منعزلة ظليلة ، وفي كنف شجرة ورد حمراء . .  
أتعرفين ماذا حدث في تلك البرهة ؟ ..

قالت في قلق

— لا . . قل بربك للنهاية

قال

— أقبل المدرس في تلك اللحظة وكانت يدي لوثة  
من الطمي ، فوقفت مضطرباً حائراً في الحديقة ، وجلا من  
ذهابي خشية مقابله إياي على حالي تلك  
ولكن ما كان أرق قلبك يا حبيبتي وأكبره

لقد قدمت لى طرف فستانك الحريرى قائلا فى تلهف وقلق .  
أمسح .. أمسح يديك قبل أن يراك .  
ولما سجدتا ولم تتحركا ، أسرعت الى سحبهما لتنظيفهما  
بنفسك .. قالت عابثة ..

— طبعاً لم يضربك المدرس بعدها

قال

لا .. بل ابتسم لى يومذاك وأربت على كتفى ، كأنما يهنئنى  
بأساس غرامنا الذي بنينا على مرأى منه .. ومن السماء ..  
— ما أحلى الطفولة .. ليتها تعود .. انى لا اجلس فى وحدتى  
أستعرض أطيافها .. وأذكر صورها المنمنمة الزاهرة .. فأطرب  
لها وأسعد

وإذا ما أفقت من أحلامى .. ولم اجدنى جليستك أو  
رفيقتك إبانها ، تكدرت ، وصبرت ، ولكن ! .. ولكن ماذا  
تم بالزهرتين ؟ ..

الزهرتان . إيفون . معبودتى .. هما اللتان أحيا اليوم

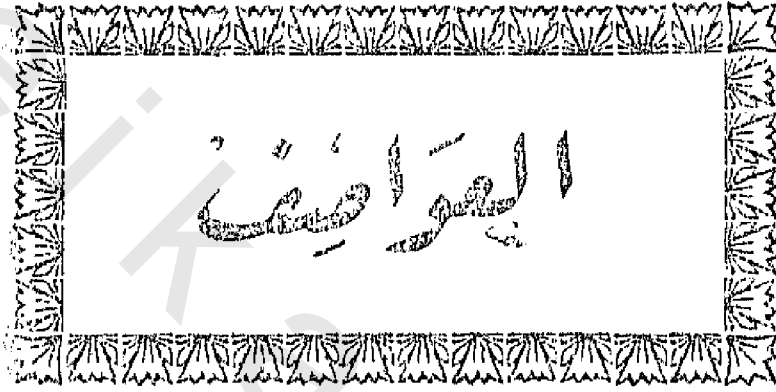
بمآرهما.. فقاطعته مستفسرة

أين !.. في الحديقة ؟..

لا .. بل في قلينا الحسيين . قلبي وقلبك يابنة العمة ..  
أشاهد الثمار وقد نضجت ووافت بلوغها ، تطل من  
زرقة عينيك الوسنتين ، وأجفانك الفاترة ، فيصيني منها  
السعادة ، ويفعمني الرضى .. أماشذاها الطيب .. فيفوح أرجه  
الزكى من بين شفتيك العذبتين . و ظلالها الوارفة .. أتفيأها  
منك عطفاً وحناناً .. هذا كله من غرس أيدينا . فلنا  
اليوم أن نجني ريعه ..

ثم بسط ذراعيه ، وبهغمة ساجية ، هتف من جديد باسمها  
وسرعان ما ارتمت بين أحضانه ، وتقابلت شفاههما المتلهبة  
والتصقت على قبلة بريئة طاهرة...

وأفاقا بعدها على صوت المؤذن القريب من المنزل ،  
ينادى المصلين بصوته الحنون الرخيم وقت الأصيل . قائلا:  
الله أكبر .. الله أكبر حتى على الفلاح



obeykandi.com

حدثني صديقي قال :

كان الفصل شتاء ، واليوم قرأ غائماً ، والسماء المربدة تدمع  
رذاذها وتنفضه قطرات وانية متقطعة ، ثم تمسك بعدها  
وتجمد . والأجواء قاسية تلذغ البدن اذا سعى المرء الى  
فضائها ، وتلفحه بنسيمات مرجفة يرعش لها وينكمش . ثم  
تلمس بعدها الى النفس ، فتبث في أكنافها بعض تلك  
الوحشة المنفرة ، وشيثاً من الأحاسيس المعتمة ، وتعبث  
صورها المكتوبة بما قد يتخللها من بهجة وهندوء ...

وذكاء تحتجب آونة وتتوارى وراء الغمام المتأبد ،  
والسحب القائمة المتناثرة ، ثم لا تلبث أن تنحسر عن بعض  
قرصها تلك الغمام ، فتبدو مخنقة منهوكة . ثم تختفي ثانية ،  
وان كانت تنساب خيوط واهنة مضمضعة من أشعتها المريضة  
فتصبغ الكون بلون مصفر ، تبدو له الطبيعة في ذلك القر  
سقيمة هزيلة ..

ويحس المرء تلك الفترات في تلونها وتضاربها ،

وينقبض فؤاده ، وقتما يغيب وهيج الشمس ، ويحجب قرصها  
المؤتلق عن العيون ، كأنما تدلّك للغروب لو لم يبين منها أثر  
فضى ضئيل .. أويرخي صدره انشراحا عند ما تدب القوة ،  
ويرف السناء في أوصالها الحمر اللامعة ، ويشمشمس نسجها البهي  
فتلبس الكون ذهباً نضراً ، وتنث في أرجائه وهجا ودفئا .  
وكانت تحدوني قدماى أثناء ذلك العراك الطبيعي الى  
منزل صديق حميم أزمعت في يومى ذلك زورته . فما عثمت ان  
بلغته ، وصعدت اليه في غرفته الخاصة

وجدته جالسا الى مكتبه جلسة المفكر الحائر ، وأبصرته  
يلوح على غير ما عهدت ، كسف البال هزيل المحيا شاحبه  
وتنبتت الى أنه ساهم لم يحس وجودي معه ، أو  
يفطن الى اقترابي منه ، الا بعد ان صاحت يدي كتفه . فقام  
وحياني تحية أبرد من الجوى الذى يحيطنا . ولم ينف بعدها  
بعبارة ترحيب أو ما يشابهها .

جلست أرقب سهومه وعدم استقرار لحاظه ، ينظر

الى كل شيء وكأننا لا يرى شيئاً . ثم تتجه حذقه الى  
القضاء المكتئب بأعين منكسرة لا تطرف ولا تتلجج ،  
وكان الجو قد استمره بعد أن ابتدأت تتناوح هبات من  
الريح البارد وتناوح ، وأخذت تتبدل الى هباتها الرقيقة  
الخافتة طلائع الحدة ، وراحت تتدرج وتركو في شدة  
إيقاعها من مثل الأنين الرخيم والرنين الخافت ، حتى حالت  
صغيراً مزعجاً ، وقصفا راعداً ..

وطال تأمله من خلال النافذة الزجاجية ، حتى وجدت  
أن أقطع حبل سكونه وأوقف شرود ذهنه .. فقلت  
.. فيم تفكر يا ل .. وابتسمت

فحول الى بصره وحدجني ، وكأننا جال بذهنه أني أسخر  
منه وأهزأ ، وان لم أكن قد استلهمت خلده ما يدور به ،  
أو استدرجت ما يشغله . وإنما تلك النظرة المتسلطة على  
بعثت لغموضها وظالمها في تسي رعباً وقلقاً . وخفت أن  
يكون قد خفي عنى حادث وقع له ، أو مكروه ألم به ،

أو حل بأحد من العائلة

ومعنت برهة استفسرت فيها سمته الشاحية ، فتيقنت  
من أن هناك هموماً وأوصاباً تكثف نفسه ، وارتأيت  
الى جانب تلك الهموم وهذه الحيرة ، مسحة اليأس والذلة  
ترسم على وجهه ، وسرعان ما أطبقت شفقي بعد أن سرت  
الى عدوي ذلك الشرود ولكن في شيء من الألم الى  
أن قال ، وكأنما غمرته لجة من اليقظة والحماس .

— أفكر في عاصفة . . . نعم في عاصفه مقبلة . .

وأدهشتني غرابة ذلك الضرب من التفكير لمثل  
صديقي ، وخصوصاً وأنى موقن بأن الجغرافيا من أبغض  
العلوم اليه والى موطن تفكيره .

ومللت أن أحزر ما يرمى اليه ، وما تنوء به خواطره

فقلت :

— أية عاصفة يا أخى ! ! . . عاصفة اليوم ؟ . . وما هذا

الذى تفرق فيه من صمت وشروء وألم .

كل يا عزيزى .. أنها عاصفة نفسية ، أُنذرت بها  
اليوم . ستهلكنى هلكا . ستصروح غصن حياتى رطيبا  
وتجففه رويدا .. ولا أظننى أصلاح لأن أحيا بعدها وأعيش  
كم أحب أن يحملى الموت الى فردوسه الهادئ . قلبى مكالم  
ونفسى شقية ، وروحي معذبة .. أنا ذاهل يا صديق عن  
الوجود ..

ثم صمت برهة وتوقف ، كأنما كان ذاهلا حقا . أو  
أنه يرتقب فكرة جديدة تؤاياه ييسر منها وتوفيق ، ثم  
أبتدأت تثب بعدها الى وجهه المرئى وترف ، خيوط من  
الاستسلام للقدر ، فتكسر صفحته عزاء وصبرا وخشوعا  
ثم أخذت تضح على طاعته وتجاو بوادر تلك الروح التى  
تشر بها قلبه اليأس المثل ، ونفسه المصدعة .

ووافى الهدوء ، عواطفه المضطربة الشائرة ، كأنما انبعث

في كيانه سر رهيب غامض ، غشى كل شقائه ومذاببه وشكاه  
الذي أستشعره يفيض من قبل . وعادت أسارير وجهه  
وقد انمحي عتمها وباد ، تفصح عما يحكي الغم ويشبه الانتصار  
ورفع عينيه الحالمتين نحو السماء الراقية ، بعد أن كانت  
مكفهرة ، وأنعم النظر في ذلك الصفاء المتفشي في أعطافها ،  
وتلك الغلائل الزرق الباهتة ، وكانت تحجبها السحب  
المعتمة ، التي هطلت رذاذها ، والذي لم ينبهنا الى سقوطه  
إلا ما تغبش به زجاج النافذة من قطرات دقيقة ، انحدرت  
خيوطاً مائية رقيقة على أديمها الأملس .

وكأنما أعجيبته تلك الأجواء الهادئة الصافية ، وخلته  
قد تركت في نفسه لونا زاهياً يبسط القلب الحزين  
وينمسه ورعاً .

وغنمهم في حنان رقيق بكلمات لم يسر الي سمعي منها  
غير كلتي ... إلهي ... إرحمني ...

وقالها من أعمق أغوار قلبه . وطربت لتلك القدسية  
التي مسته ، والايان والخشوع اللذين غمراه . ففاجأته  
بقولي .

بدهشني أمرك يا ل . . . يظهر لي أنك تخفي عني ما كان  
يجب أن توقفي على جليلة خبرني ماذا حدث لك ؟ . .  
واستمرت ألحف عليه ليفصح ، ووعدت أن أعينه  
بقدر ما أسمع من جهد وحياة . حتى حول الى لحظاته  
وقال

« لا أشك في أنك تتنبه الى أن م . . كان صديقا لي  
وكنا أوفى صديقين يشهدهما الناس . . كان زميلا لي  
بالمدرسة كما تعرف ، وتوثقت عرى الود بيننا وقويت  
بفضل تصاقب منزلينا وتجاورها . فكنت دوما إما زائرا له  
أو مزارا منه .

ولا زلت أذكر تماما ولو أن أربع سنين تكفي لأن  
تعبث بتلك الذكرى ، مبالغ ما كان يحفظ كل منا في قلبه

للاّخر . وما كان يرتسم في حياته اليومية في غير كافة أو  
رياء من صور الفن صداقتنا الرائع الجميل . وقد أتاحت لنا  
آثار ذلك الود أن نستذكر دروسنا سوياً . وكنت كما يدعوني  
أكثر منه نشاطاً وخفة بدن ، فأذهب اليه . وكنا نعمل على  
عدم اجهاد الذهن طويلاً ، فاذا ما قطعنا شوطاً ، أحسنا  
بعده بحاجة الى الراحة ، ذهبنا نبعد عنا الأعياء باللعب على  
البيان قليلاً .

وكان لاعباً مبتدئاً ، وبه شغف زائد الى الموسيقى ،  
فكنت أتركه يجلس الى البيان وأقف الى جواره ألمح  
أنامله الخفيفة تارة ، أو أسرح النظر أخرى فيما يقع على  
ظهوره من صور وتماثيل .

والتمحت عيني يوماً صورة فتاة ، لا داعي اليوم  
لوصفها ، جذبني جمالها الفاتن . وكانت عيونها المصوبة الى  
كل من تبدر منه لفتة الى رسمها البديع ، واسعة ، غير عادية ،  
شاذة . . نعم شاذة فيما تشعه من سحر وفتنه .

وانتهي صديقتي يومذاك من توقيعه ، وما كنت قد  
انتهيت من تأملي ، وارتاحت نفسي الى أن أتلى من ذلك  
الرسم طويلا . وكنت كلما زدت فيها تحديقا ، تجلى لي جمالها  
أروع وأسمى . ولم أشعر الا وهر يهيب بي أن نعاود  
الاستذكار . وعدنا الى مكاننا وشبح الصورة يرافقتني ،  
ويتراءى لي ويوضح مرثما على كل صفحة من صفحات  
الكتاب الذي بين يدي . وفكرت هل تكون أخته . . أو  
صديقة . . أو فتاة ذات رحم وقربي . وإذا ما جنحت الى  
زعمي الأول عدت أفزع عنه وأنقضه . والا فما كانت تغيب  
على رؤيتها

وتنبه بعد لحظة الى شرودي ، والى أنني لم أفطن  
الى كتابي أو أعى مابه ، فنبهني . وكان خجلي لذلك عنيفا  
أحسست له رجفة ، استعدت بها وعيي التائه ، ورددت  
مشاعري الحاملة الى صوابها ، ثم ابتدأت ألوم نفسي ولا  
أستصوبها لتتشبث وتتلوم بهذا الهاجس الطارئ . وعدت

الى منزل وغلا ثل الليل لم تدب فيها الحلكة بعد . وخت  
أن الذهن قد أذعن حتماً لأن لا يستدرجها الى صنفته .  
وارتحت الى أن انعت نفسي بالغباء والخور ، اذ تبتعث  
لها الصور مثل تلك الأحلام الملاحية والأوهام .  
ونمت تلك الليلة نوما مشوبا بغير قليل من الاطياف  
والاخيلة التي طمسها الصباح ، وغما بزوشة أثرها . وذهبت  
في اليوم التالي كعادتي الى منزل صديقي . . وطرقت الباب  
وسرعان ما سمعت صوتا عذبا يهتف في رفق ولين . .  
طيب . .

فعلمت أن صديقي لم يكن موجوداً ، وكذلك الخادم ،  
وجرى صاحب الصوت الى الباب يفتحه . كأنما وثق من  
معرفة الطارق

وما وقعت عيني عليها . . على صاحبة الصورة . . وهي  
تبسم بسمة هادئة حلوة ، إلا وكادت تفلت مني صرخة  
الدهشة ، ووثبت رجفة القلب الي الجسم كله فانتفضت ،

وأحسست وقتذاك بنشوة الحلم يلقى كنزاً نفيساً . بل ما  
هو أثن من الكنز . من يلقى ملكاً بيده كنوز العالم . ولم  
أفق إلا على قولها :

- اتفضل انتظري .. سيحضر حالا ...  
وكنت قد نكست رأسي حياء ، فرفعته ثانية ..  
فرأيت عيونا .. في لون البحر تماماً .. وما شككت في أنها  
في عمقه . وابتدأ وجهها الجميل يتشح بدبيب الشجوب ،  
وبدت وجنتها موردة محمرة الخجل والاضطراب .  
وابتدأت مآقيها الساحرة تلمع يريق خلاب ارتحت الى  
أن يستديم اشعاعه .

وبقيت نظراتنا متقابلة هكذا برهة ، أحسست بعدها  
كأنما ذلك البريق وتلك النظرات الصامتة تفيض عاطفة ،  
وأحسست أنها تجود لي في صمتها البليغ بما يحويه طويل  
حديث الصباية والهوى .. والتمح كل منا روح الآخر  
منشرة على صفحة وجهه . ولمس معاني القلب الخافق

فأخضت في العين . وأنس كلانا الى ما طالع به صاحبه ،  
وأسره اليه .

وأصبحت منذ تلك اللحظة ، وبعد تلك النظرة ،  
أحس بما قاله « جيتي » من أن أروحين يسكنان صدري .  
وتملك حبها على نفسي واختلط بدمي . وأنا وان كنت قد  
استسلمت لتياره ، وغذوته بالاماني الجسام والآمال ، إلا  
أنى اكتفيت بأن أكتمه في صدري ، وعملت على أن  
أمتلك هوى النفس وألزم ذلك القلب الصارخ صمته  
والحلم ، خشية أن يفطن أخوها

وبقى سرنا دفيناً وبما الهوى ولم تشبه شائبة ، أو نزع  
خبثه تكدر صفاءه ، أو تنقص من طهارته . واستسلمت  
وحى الحكمة فصرت اقنع بأن أراها مرة أو مرتين كل  
أسبوع ، فأصوب اليها من العين رسالة تحمل من الهيام  
والوجد ما تنوء هي عن أن تتحملها . . فتسدل جفنيها  
وتضطرب ، ثم تعود ترمقني بما ينم عن مثل ما بي من

العاطفة القاهرة ، والنار المستعرة

ونجحت في البكالوريا ذياك العام . ورضيت بأن  
تطرحني النوى مطارحها النائية الى البيئة التي أتمم ثقافتى  
العالية تحت سماءها ، وتتشرب نقي من منهل حكمتها العذب  
وعلمها ، ونأيت وأنا أعلال القلب الحزين الشاكي بما يتروح  
اليه وينتشى له ، وأقرب الى ذهني ما بين طرفي تلك المرحلة  
المضنية ، وأعلله بأنها تبعدني عن صاحبتى اليوم لتقربني  
منها غداً ، فما رأيتني أسأها أو أميل عنها .

ولدغتنى لوافح الفرقة والهجر لدغات قاسية ، وابتدأت  
تلوح في أفق حياتى الموحشة ، طلائع آلام الى جانب الامانى  
المهادنة والاحلام المستقرة ، وأنى لي أن اصبر على وكد  
الدرس دون أن أستدرج بين حين وحين طيفها ، وأرقب  
خيالها ، وما كان في مكنتي أن استجعم الدهن وأستجمع  
شتاته المتناثر بين مختلف الأخيلة والأطياف ، الا بعد أن  
تؤاينى صورتها تملئ على من وحيها شرة ونشاطاً .

وراح الشوق الكمين والحنين ينميان في نفس شعوراً  
مبهماً ، كنت استشعر له الى جانب ما يوافيني به من لذات  
الماضي المنوطة ، روح التمرد على الحاضر والسخط منه . ثم  
لا يلبث أن ينمطر من شطري ذلك الاحساس الغامض ،  
أمل المستقبل المزدهر . وأرى له حواشي منمنمة تزدشي نوراً  
وبهاء . كأنما انغمست على اتساع رحبتها في ضوء من بريق  
عينها السنى ..

أليست كما قلت لك في مثل البحر عمماً وغوراً ؟ ..  
وأأمل تأمل اللفسان ذلك السطوع الأخاذ بعين  
خيالي المتوثب ، وهو يتخلع لشدة اعتلاقه ولا لآله تخلع  
الغاية تبهر رائيها وتستغويه ، وأكاد أنزو في جنون الطرب  
الى ذلك الشاء الوهاج . . أو قل . أقفز قفزة المراح الى  
قطعة أخرى من فضاء الغرفة التي أقطنها وأتوي بها ، بعد أن  
ترأت لي تلك الصور متناثرة في أكنافها وزواياها ،  
ولكن سرعان ما أفيق من هاجسى الخادع ، وأثيب العقل

ليري هل كان ما ارتأيت سرا باخطبا وحلما متورهما ذاويا ؟ ..  
ولكني ما ارتدت يوماني أنها الحقيقة. كان الحب يا صديقتي يهيء  
لي المستقبل مكسيا في كل برهة برهة منمقة من أردانه الجميلة.  
وكانت تحمل الي بين حين وآخر رسائل شقيقها  
المحبوب وكان قد سعى الي وظيفة كتابية بالبلدة التي تركته  
بها فنالها فلم يقطع ذلك حبل ودنا أو يقصر من القتال بل  
ازدادت على ما بيننا من الشقة والبعد صلابة توثما  
ولشد ما أعجبتة ردودي ، وسحره أسلوبها العذب  
الزلال ، بل لقد نال من نفسه أثرها ، فبات متجا بها والها .  
وأصبح ينتظر ورودها انتظار الماشق المحروق بالجو  
أوبة محبوبته ، وصارت تلهمه كما أخبرني بوحى غامض ،  
خال من أجله أني أنقلها له من كتاب مسحور . ثم أحسها  
وأستكنه روحها تتدرج من ذلك الفموض تتدرجا معجبا  
رائعا الي التبيان والوضوح ، حتى أبتدأت تسيل بشيء كان  
يسمع الألسنة تلوكة ولسكنه تلمسه اليوم منها وأحسه .

ولقد كان يستخر منه قلبها . وهو اليوم يقدس ويبيجله .  
وكان ينوته بأنه رجس من الشيطان فبات يصنفه بأنه منحة  
وهبة من السماء وكيف لا وقد كنت أكتب له عن غرائي  
بمن تدعى شقيقته . . شقيقة روحه وان تلبست هيكله  
غير هيكله . نعم كتبت له عن وحشتي المضنية وعزلي ،  
وما ينفرط عن أحاسيسي هذه ، مما عده هو غامضا . ثم  
أبتدأت أشر على صفحات الرسائل لمحات مما ضفى على ما  
كان يزخر به قلبي المضي المتوجع . ورحت أبث له في  
كل رسالة بياقة مما يشوك الفؤاد الولهان ويحز فيه ، فبرعها  
هو زهرات تفتحت عن طيبتها الشذى ، وأرجها الزكي  
وساءات نفسي هل يمكن أن تقع عينها عليها ؟ هل يمكن أن  
تكون هي إحدى المادحين الذين التمحوا السطور التي بعثت  
أو سمعوا الانين الذي زفرت ؟ . وإلا فمن يكون هؤلاء  
إن لم يكونوا من بين أهله وعشيرته . وكيف تسرح لهم  
ولغيرهم دونها فرصة تلاوة ما أكتب ؟ . ثم كيف يقع

عليها بصرها وهي المغنية بكل هذا ؟ ..

ورحت أنشد الحيل ابتناء إسماعها شكاة القلب المران  
وأنيثة ، ولتبصر ضرام ما ضمت ضلوعى من سورة الوجد  
وسميره ، وأفصح لها عما يشيع فى فؤادى ، ويجيش بين  
جوانحي من خواطر الهوى العف وخواجه .

واقتديت الى أن تكون صحائف المجلات صالة بيني  
وبينها ومنفسحا لتصاقب روحى وروحها ، ومنشداً رخيا  
مهموداً للنفس اذا بضعها بأس مرهق ، أو سال بها نبع من  
الأمـل متدفق

وراع صديقى ما كتبت ، وراعها شئ ان تدرك قدر ما  
أحمل لها وما أحفظ ، وقد تواريت عنها ثلاث سنين خالت  
بعدها أن الحب أضحى لدى رفات بالية وخاطراً منسيا  
وتملكها ازاء استعصاخي الشجى لها مثل عودة الحياة الى  
عواطفها الناعمة ووجدانها المدرج ، ودبت فى مشاعرها  
اليابسة خضرة من ذلك الطل التمهـل المتواني

وطفر بها ذلك الشعور القهار الى كثير من الجراء  
والحمية ، واندفعت تحلم بخواج الهوى المعسولة ، ولم ترتض  
أن تخور عزمتها دون أن تبادلى حبها وتتجالى معى دفائنه .  
فراسلتنى . . .

أسمت وشهدت فأن القيان تترنم صباة وتشدو  
شعرا وسجرا ؟ . . . كان كلها ألحانا عميقة عبقرية ، وعزفا  
خلابا سماويا . فيه الشجى الأليم ، والطرب الأخاذ ، وتنخله  
أوصاب مثنويه ويسرى فيه رحيق عذب . كنت أقرأه ..  
لا والله ، بل أمزجه بدمى فاستشعر لهما المحتاج وخزا  
ولأملها المرفرف طرابا وسعدا ..

ليه يا حبيبتي . . . كنت صغيرا فى عين تسمى واليوم  
كبرت .. كنت جبانا واليوم شهيمت .. وكنت وسمنا  
حالم واليوم صحوت وتحقق الحلم .. خبرينى نبع ذلك الحزن  
السارى فأغضيه أو يذوينى .. وهل يفلح غسل عبراتى إذا  
همت أن يمحو أثر الحزن من قلبك ؟ ..

وأجابت أن لا ..

فتسامت روحي وصعدت تتوَّاب إلى أعلى السماكين  
إلى المزن أستخلص منه قطراته نقية صافية من شوائب  
القضاء ليتندى بها قلبها الحرى .. وإلى شدران الحور أروىها  
أمواهها .. وزهر الجنة لتعبق أرضها من روحه وريحانه ..  
وماذا بقى ! .. الشمس الوهاجة !! .. القمر الساطع !!  
الأنجم الزهر !! .. أدنيتها إليها ، وشعرتها بقدرات منها  
وأضواء ..

وكانت تحيا بكل هذا على لحن قلبي وغنائيه ، فاضمت  
كمن يشوى بدنهما على الأرض ، ولسكن مع الحور والملائكة  
روحها في السماء ..

ومضى على حياتنا تلك ، بضعة أسابيع قابلت بعدها  
أخاها وكان كلانا مشوقا إلى صديقه ، لهنان إلى رؤيته ،  
وكانت مقابلة لو شهدها أحد لحسبها ضربا من ضروب  
الجنون والخلل . إذ تسر النطاق على كلينا في أولها وتعذر ،

وعجبنا عن الكلام فلم نبتعث من أفواهنا سوى صرخات  
عذبة يغلب على حدة إيقاعها الود والحنان ، وارتدى كل بين  
أحضان صديقه ، واستسلم للعناق الطويل ..  
واستغرقنا على تلك الحال طويلاً كما لو كنا في حلم ،  
ونغممت أسأله :

كيف حالك يام .. ؟

أجاب : أنا ؟ .. أنا ؟ .. سعيد جداً للقيانك  
ثم رأيت يده يرفع اليّ بصره الحائر كأنما يقرأ في عيوني ما  
خباياه سريري . ثم قال :

أأنت لـ .. حقاً ؟ .. أراك لم تزد أو تتغير عن ذي  
قبل . بل قد تكون نحتت وضعت ..

أأنت صاحب هذا القلب العامر الكبير ؟ ..

أأنت تضم بين جنبيك ذاك الفؤاد الفياض بالحُب  
الطاهر ، والجمال الملوّى ؟ .. دعني أضمك اليّ ، دعني أتطهر  
بك وأمنع نفسي متعة القرب من مكن ذلك الشمور البريء

لله در من تعشق وتهوى ..

وأباد شعوره المتدفق في اخلاص وعدم رياء كل  
يأس وعم في نفسي ودفني الى احساس احتقرت بنفيسه  
تلك القيود التي تغل صراحتنا وحريرتنا  
قلت : ألا تعرفها ؟ ..

قال : بل أتمنى أن تبوح لي  
بذلك لأقدس في نفسي مهبط ذلك الوحي والالهام ،  
ولا جعل منكما مثلاً أعلى للطهر ينشده الشباب المابث  
المستهتر ، ويصبو اليه ويحن من يشا كنى من الشباب  
البائس المكتئب .. ألم تصب النجح بهديها ؟  
آه يا صديقي .. خبرني من هي ؟  
- إذن هي .. أختك .. م .. ونطقها في جرأة ثم

صمت

- أحقاً تقول ؟ .. وقالها مشدوها مذعوراً .  
- قلت : نعم هي بيمينها .. أظن أن لذنوب ليس

لها . وإنما يقع على كاهلي عبئه

.. لا ذنب هناك يا صديقي ..

وعاد الى أسلوبه اللين والهدوء ثم استطرد ..

أنا سعيد يوم أدع الظفر يكال حبكما الخالد . نعم

ساعتك يا صديقي فاطمئن . هناك عقبة سوف أزلبها أمامك

ولا حت على حياه طلائع العزم المشوب بروح اليقين .

ثم افترقنا على أثرها .

\*\*\*

قال صديقي بعد أن توقف عن حديثه كأنما يستجم

شئاته

— وهنا دفع اليّ ل . . . رسالة كانت ملقاة على مكتبه

في عتف وشدة . ثم اهتز رأسه يأساً وقنوطاً وقال بصوت

متنهم تنفله رعشة .

.. اقرأ .. اقرأ . . . لتقف بنفسك على الخاتمة

وتشهدها وأمسكت بالرسالة ، ولم أغض عنه ببصري ، أو

أحيدته اليها . بعد أن أفزعني تقطيب أساريه تقطيباً مخوفاً  
وانتصب واقفاً وقد تعبس وجهه بأون أكدر ، كأنما  
انبسطت عليه لفحة من العثير الأغبر ، وطالفتي بسمة  
كأنما يسيل اليها ويمور ذوب من دواعي هذا القلب المشوك  
الموهون ، والصدر الحزون . واستمرت ترهق وجهه تلك  
الفترة الفراء طويلاً . وحول صوب القضاء بعدها بصراً  
متجهها كأنما ينفث شرراً . ومضى برهة يذرع أثيره كأنما  
يقتفي أثراً مخفياً أو شيئاً محجوباً . وخاطبني في حدة بعد أن  
أتار الى نظرة مقطبة

— تخشون زعازع الطبيعة وعواصفها ، وترهبكم هبات  
منها لينة وبروق وامضة . وتخدعكم عواصف البشرية وهي  
الاعاصير المدمرة ولطيف من ألسنة الجحيم ، عن أن تتامسوا  
مبالغ أثرها وعظيم شرها .

— آه من تلك العقول الظالمة الجبارة . كم من مرة  
عصفت أفكارها الغاشمة بمسول آمال ، وقوضت صروح

أحلام . . بل كم هدمت من أرواح . . .  
وكان لعبارته الأخيرة نعمة شجية مريرة ، بلغت  
حديثها مبلغاً مفرعاً . كأنما تلبست نبراتها من روح ذلك  
الأعصار المصوح ، وهذا الشرر المستعر في أعطافه وبين  
جوانحه .

وفي تلك اللحظة دخل الغرفة والده فبدأ صديقي .  
وبعد برهة استأذنت وخرجت

\*\*\*

ومدّ الى صديقي المتكلم يده بالرسالة فكان فيها . . .  
صديقي لـ ..

انتويت اليوم أن أتمس عزمة أكيدة لمكاتبتك ،  
وأتسقط العون من الله ليملأني قوة لإرشادك وهديك .  
لقد اجترأت على ذلك ، لأنك لا تفيد بعد اليوم  
من ترددي ، وليس لأن مكانتك في نفسي قد تصرمت ،  
أو أصاب الوهن حجابك ونهاك

لا تعجب يا صديقي أن تبصر شوكا وحسكا . . . وأني  
للروض أن زدهر وقد كان يجوده قبل اليوم غيثك الهاطل  
ستري بورنا شاسما بين رسالتي هذه وبين تلك التي كنت  
أبعثها سائلة بوحى الخاطر .

كان القلب يفتن بفيض كلامك الهامى بحديث حبك  
وجمال روحك . وكان يصيبني بلذة مسكرة كما لو كان من  
عصير العناقيد المخمور .

و كنت أتسقط كلامي لك بعده حلوا ، كالصدى  
الحاكي لترنيمه ملك من ملائكة السماء . .  
وأن فتنة الحمر من اعتلاج هم بالنفس أقم من الخبر ؟ . .  
صديقي

كنت أكون سعيداً لو قربتني منك وشائج  
النسب ، ووثقت بيننا دواعيها . ويوم كنت أري الرباط  
الذي يربط روحينا سداً الود المتعمق ، ولحمته المصاهرة .  
لشد ما كان يحول أكثر قوة وأبقى خلوداً على الأيام

آه يال.. لا تحزن ان كان قد أصاب حبك الفشل  
والخيبة هكذا علمتنا المقادير أن نحيا.. نجهلنا أعداءنا من  
همومها وأتراحها، وتطلب منا رضوخاً وصبراً.

لست أول من حزبه هذا الأمر وبضع قلبه.  
تأس يا عزيزي بالتمعن فيما تطالعك به صفحات الحياة.  
سوف تهون عليك أوجاعك عندما ترى منها أنها تسيء  
وتمير أضعاف ما تحلو وتسر.

تناس ذكرى ذلك الحب.. فهي تنكأ قروح قلبك  
وتبعث وخزها الراقدة، وسعيرها المخمود.. ثم تترك القلب  
أخيراً.. أعتم من الطلل المحروق.

لقد جهدت يا صديقي من أجلك جهاد الأبطال على  
حد القول. وبذات غاية ما أملك من منطق حكيم وبيان  
سديد، لا زالة العقبة التي جابهتك بأنها تقتور سبيل حبكما.  
ثم ماذا تم؟ خاب الأمل وخبا..

أختي يا صديقي مخطوبة من الصغر لابن عمها.. وهي

لم تجرح ذنباً وإنما أتاه من يدهم الأمر . وفي الأُمس فقط  
في الوقت الذي كان فيه النزاع مستفجلاً بيني وبين والدي  
وصلنا من ابن عمي كتاب ينبئنا فيه بأنه أعدَّ كل شيء .  
ويطالب التعجيل بالزواج

تذرع يا صديقي بالصبر والنسيان . كلاهما خير معين  
ومُنقذ . لا تقطع جبل الود أو توهن من المسكاتبة والسلام

م . . .

تلوتها ونظرت الى صديقي فوجدته ساهماً ، غير أن  
يؤنه تكاد تنطق بسؤال . . ماذا ترى ؟ . .  
ولكني سألته متلهفاً

.. وماذا تم في أمر الفتاة ؟ ..

أجاب : يعد أهلها لها معدات الزفاف

قلت في حزن : والفتى ؟ ألم تره بعدها ؟ .

قال في أسي :

لقد شامت له المقادير أن تدرجه في عداد ضحاياها الشباب

لقد توالى زورائى له بعدها ، وما كنت أتركه فى  
أحداها الا بعد أن تدلف الى نفسى وتزدحم بها لرؤيته هموم  
العالم . ثم لا أجرؤ على البقاء معه طويلا ، فأؤوب من داره  
وقد خشيت أن يبصر دمع الخنان المترقرق يذرف ويسح  
من عيني . . .

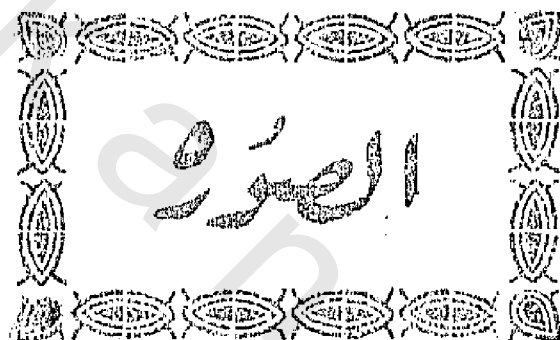
ما كنت أرى أثر حنته ونكبته مخف ، بل يشتد فيهد  
من حوله يوما بعد يوم ويهبط بعباده

ولما استشفحل معه ذلك الاضطراب النفسى واستبهم على  
والده أمره ، رحل به ليعرضه على طبيب حاذق زاعماً أنها  
نوبة عصبية ، تنتابه لعلة فى بدنه

وعامت اليوم فقط أنه عاد من سفرته ولم يقد داءه  
المستعصى دواء . وراح المسكين يزوى . . . ويزوى حتى بقى  
بينه وبين القبر أيام قلائل . . .

\*\*\*

وصمتنا طويلا . . حزناً وأسى على الشباب الداوي



obeykandi.com

« يتشرف ف . . بك بدعوة حضرتكم وأفراد عائلتكم الكريمة ، المحضون في حفلة زفاف نجله الأستاذ م . . الحامى ، على ربيعة الصون وربة العفاف ، الأنسة المهدبة ع . . كريمة المرحوم الطيب الذكر ن . . بك ، في الساعة الخامسة من مساء الأحد القادم ، بسراى العروس الكائنة بأول شارع . . والواقعة عندكم في المسرات »

تلك صورة رقاع الدعوة التي تمقها وأعدّها أهل العروسين ثم بعثوا بها إلى الأقرباء والخلان والأوفياء ، وغيرهم ممن تربطهم وإياهم مرفقة من أعيان البلدة ووجهائها وصلت تلك الرقاع إلى أصحابها المبعوث بها إليهم ، قبل ميعاد العرس بيوم واحد . وسرعان ما انتشر نبأ زواج الأستاذ الحامى بين أهل البلدة وسرى إلى الأسماع سريان البرق . لما يحوزه من مكانة في نفوس الغير عالية ،

---

وقعت حوادث هذه القصة منذ عام ونصف عام . وكتبت أثناءها ثم نشرت كما هي اليوم بمجلة الصباح .

ولما يحمله من اسم مبدجل مخفوف بالبراعة والحذق ونزاهة  
الخلق ، ولما ينعم به والده السرى من الشرف والفخار وبعد  
الصيت ، فضلا عن أنه اشتهر بخلال كريمة ، وسجايا سامية ،  
وبالعطف على كل من لجأ اليه من القوم يطلب عوناً ويمداً يداً  
ولئن لاكت الألسن اللهي الى الافصاح عن  
خواطنها الساذجة قدر ما يشهده أصحابها مما يبذل في  
اعداد الحفل على أتم وجه وأبهاء ، وعلى أنه تجلى أبداع وأروع  
مما عهدوا أن يبصروه ، فسرعان ما تلهج في نبرات متحمسة  
مطمئنة ، بجلال مكانة عائلتي العروسين وشرف منبتها ونبله  
وأن ما يعمل وان عظم وازدهى ، فهو الى جانب ذلك صغير  
حقير . . وما أبجدرهما بأن يعد لهما ما هو أبهى جمالا ،  
وأكثر رونقا ، مما يعد لأولاد الملوك والامراء . . .

في شهر مايو . . . حيث تشتد حرارة القيظ وتقسو  
في أغلب الايام ، والهواء الساخن البغيض الى النفس تتخلل  
ذراته حرارة الشمس المحرقة ، وخيوطها الوهاجة ، تلفح

الوجوه بهبات مزعجة ، وتشعرها بوخز كالابر ، تقشعر  
له الابدان ، وتنقبض عند هبويه الصدور .. ما أحلى أن  
يستقبل المرء في هذه الفترات السكرية من هذا الفصل  
الثقيل ، هبات من هواء رقيق عليل ، ونسيمات لطيفة مخدرة  
ينتمش لها وكأنما تفحمها رياض اريجة بشذى الياسمين  
والورود ، وكأنما جادت لها أمواه البحر بانقاسها الرطبة  
البليلة ، ونسائمها الندية ، فتحمل الى الناس يستنشقونها  
وقد أحسوا لها بعد الضيق احساساً ساحراً رقيقاً ، ينحدر  
الى انفسهم فيكبت ما كان يحمل فيها من تراخ ووصب  
وخمول

كان ذلك في يوم الأحد ... فاذا الناس تطرب  
أفئدتهم وتنسبط حبوراً على غير عادتها ، ويزيد أنسهم ،  
بعد طول اشتياق وحنين الى هبوب الهواء نسيمات هفيفة  
بين الفينة والفينة

فكنت ترى مرحاً يبدو على وجوههم وسروراً ،

وتشهد حركة ونشاطاً وإذا ما عرجت بك قدماك إلى قصر  
 ف... بك ، حيث تقام معالم الزينات ومعداتها ، وقت  
 مجبراً أمام النار قليلاً ، ليتولى بعرك من تلك الروعة البادية ،  
 ولترهف الأذن لصوت حنون كصوت البابل الشاهي . .  
 وتعلم أنه شدو أحد المبال ، بعد أن سرت إلى قلبه الضبعة ،  
 أوحى بها فتنة أزاهر عبقة يحلمها في ساق ليجمع منها ويزين  
 واجهة لدار . . وما أعذب النغم حينما انطلق يترنم وينشئ  
 - إلى أنكتب على الجبين لازم تشرفه العين

\*\*\*

لبس القصر ذلك اليوم حلة زاهية ، وكساء رونق  
 مزهر وبهاء خلاب ، وبدأ بعدها يشرح الصدر الحزين ،  
 ويروق البصر المسير

رصع بالثريات اللوامع اللائعة ، وكللت بجدرانه  
 بأهلة الزهور اليانعة ، تطل من أوراقها الحياة كأنها لم تنزع  
 من أعوادها بعد . ورصت أبيض الورد العطرة الفيحة ،

وانتشرت على الايوب والنوافذ كرات ملونة لتشع اذا ما  
وافى الليل وانسدات حلكته ، ضوءها الوهاج ، فتبين ألوانها  
من بنفسجية وزرقاء الى سندسية عسجدية وحراء ، منورة  
ساطعة . وامتدت على طول الطريق أعمدة مكسوة في  
تناسب وتناسق ، بثوب أحمر قان وآخر أخضر غامق ،  
ترفف على ذوائبها العالية مبهمة الأعلام . . . . . وهي تبدو  
لمن يامسها كما لو صبت من نسج مزركش زاهي الألوان  
وفي الساعة الثالثة من مساء ذلك اليوم ، كانت الدار  
كأحسن ما رأيت العين وأبصرت ، يلاصقها سراقق وسيم  
نخم الرواء ، فرش بالبسط الثمينة المبثوثة في كل أرجائه ،  
رصت عليها الارائك الناعمة الوثيرة ، ذات القوائم المذهبة .  
وعلفت في سقفه نجفات متباينة الألوان ، يهب عليها النسيم  
المشاغب فيحرك منها الدواب ، ويدفعها الى أن تهتز هزاً رقيقاً  
كأنما يناغيها . . فيصطك بعضها ببعض وتتضارب في لين  
وهوادة ، وتتجاوب أصداؤها العذبة الخنون ، وقد أودعت

نعمات رقيقة ساحرة ، تحرك كامن العواطف والأحاسيس  
وتثير دفين ما في النفس من حب للبهجة والروعة والجمال .  
وكم كان يسر الخاطر ، ويجاو الناظر ، تلك الكرات  
البلورية الملونة ، ذات الأحجام المختلفة ، علفت على باب  
السرادق في أشكال زخرفية جميلة ، تنم عن ذوق سليم ،  
وتنسيق بديع .

وفي أعلى الباب ، وضعت لوحة تبين لكل زائر لدي  
قدومه ، وتظهر لعينه ، خط عليها لا بالمداد وإنما بضم  
الكهرباء ، حرفان هما .. م .. ا .. ليرمز بهما إلى ما  
قارب أن يتم من أئتلاف روحين وارتباط نفسيين .

\*\*\*

وبينما القوم المتفرجون تستحوذ وجوههم المستبشرة  
فتنة ذلك الرواء ، ويحتل نفوسهم الغبطة لسحر هذا المنظر ،  
فتشرق من جوف أحداقهم بسمات متلائة ، وإذا بالحنان  
الموسيقي تسترق الخطي إلى الأسماع وتقترب رويدا رويدا ..

وتعالى أنعامها الناعمة الجذابة شيئاً فشيئاً حتى بدت  
الجوقة يتبعها ويلتف حولها جيش من الصبية اللعوب  
والشباب المرح .. وكل بهيج النفس جذلان يماؤه الحبور  
صدحت الموسيقى فأبدعت .. وامتزج سيل نغماتها  
المخدرة ، بما تعالى من زغردة النساء تنطلق من كل فج  
قريب .. فكان لذلك الجمال الفارط رهبة وجلال في النفوس  
حتى أحس كل مستمع أنه نسي الضغائن إن كان يحملها ، وانجابت  
عنه الأوصاب والآلام إن كان طليح الهموم ، بل ونسى  
اليأس إن كان من اليائسين ، وراحت الروح تسبح في عالم  
كله ألحان وكله ابداع .. وأوحت النفوس المخدرة بنشوة  
الطرب الى الأيدي فتحركت وامتدت للتحية ... كل يقول  
للآخر في شعور صادق

- عقبال عندك ... فيرده بقوله

- في حياتك ..

وعندما كان الناس على حالهم تلك ، إذا بساعي البريد

يرغب في أن يتخذ لنفسه في غمرة هذا الزحام مسلكاً إلى  
باب القصر ، وبعد جهد جييد وصل إليه واعطى الخادم  
رسالة يسامها إلى الاستاذ م ..

وجرى الرجل إلى سيده ليسلمه الكتاب زاعماً أنه  
لا بد محوي خبراً مسراً يطربه ويريد بهجة نفسه وتناول  
العروس الخطاب ، وكان في غرفة الخاصة يتبهاً ليرتدى  
ريشه الفاخر وابتسم للخادم ابتسامة رقيقة وأوماً إليه  
شكراً وامتناناً

خرج الخادم وأقفل الباب تاركاً سيده يفض الرسالة فيجد  
فيها !! .. يا للهول ! .. صورتها .. هي هي طبق الاصل ..  
الآنسة ع .. لم تكن وقتذاك صغيرة أبداً .. كأنما أخذت  
لها بالأمس الغابر .. وعلى ظهرها .. ماذا ! تلك الكلمات :  
« حبيبي .. أهديك صورتى عربون حي واخلصى  
الوفية ع ... » ورسالة أخرى بها .

عزيزى الاستاذ

عهدتك أن تبدل الكون غير الكون ، ولفظت القبور  
أشلاءها وأربابها ، أو دكّت أمام عينيك المعازل ، وتطايرت  
من جوف الفراء اللحم ، راسخ العقل ثابت النفس ،  
متمسكا بالحلم ملتحفاً بالصبر

اختبرتلك طيلة حياتنا الجامعية فعامت ان رهبة الموقف  
وإن جأت ، ووقع الرزء على النشس وإن عظم . لا يخاب  
رجاحة وعيك ، أو يطنى على رزاة عقلك أو يخفى سعة ذهنك  
وجنانك ، وعاشرتك فوجدتك لا تستمرىء العيش والشرف  
لوثة ، أو تنهأ والكرامة مسفوكة والعفاف مهدور .

عزيزى الاستاذ

الزواج إما أن يكون خيراً يجيئك ، أو شراً يصيبك فأن  
كان خيراً وجبت الثقة به ، وإن كان شراً وجب البرء منه  
وهأت الآن يقع أمام ناظرى رسم من اتويتها  
حليتك .. رسمها المصون تهديه شاباً من بلدتك يغدو ويروح

له من الخلان من عرفوا جليلة أمره ، وخبيثة نفسه ، وكامن  
عشقه وهواه .

أفلا تجد من الأثم والخيانة أن يبقى عنك مثل هذا السر  
الفاحش مخفياً ! ثم لا تدريه إلا بعد زمن . . فإذا أنت فاعل  
أأنت ترى السقطة أردى وأفظع ، والهمزة أمامك أسحق  
وأعمق ؟ . . ماذا أنت فاعل أمام من عرفوا جليلة أمرك  
فأشاروا اليك بالبنان وقت جيئتك وذهوبك هامسين  
— هذا فلان زوج فلانة ؟ . .

فألخير أن تتدبر الآن وتستعمل الروية والأناة ، ولا  
تجعل لليأس والقنوط سبيلاً إلى نفسك واجعل هدفك  
مستقبلاً زاهراً ، يضيئه حياة زوجية هنيئة .

ولك التحية من صديق لم يرض بغير نقاوة شرفك ،  
والاحتفاظ بكرامتك وكرامة عائلتك بديلاً . . والسلام .  
زميل . . .

وشهد من تلك الرسالة عبث الأقدار وعنتها ، وعاد  
يتأمل الكتاب من أوله ، فخيّل إليه أن أسطره قد خفيت  
وطمست . ثم حوّل لمحة الى الصورة فما رأى أثراً لقسمات  
أو ملامح ، وتبدلت صفحاتها لعينه سوداء الاديم . . . فتبسم  
ابتسامة مريرة ، بعد أن خال أن صورة نفسه القائمة قد  
أشرقت عليها وانعكست ، فصيبتها . .

وحرك أجنانه حركة عصبية غاضبة ، فجرى الدمع  
الحليس المزدحم الى القرطاس الذي يمسكه . وعاد الرسم  
البفيض يجلو لبصره الرائق بعد انهيار الشئون ، وراح  
طيف السدمة يضح له ثانية ، بعد أن ارتاح الى أمها من  
خداع الوهم ، وأثر الهواجس . واطامت الدنيا مرة أخرى  
في عينيه ، فما يبصر شيئاً الا ذلك الذي بين يديه .

وأخذ وجهه . . يستنير له جلياً ، كما لو أتابه وهج  
واشعاع من الجحيم . . وبرز من خلاله أئمة وفحشا .  
وحدق بانعام في عينيها الناعستين ، فتجسم له ما زعمه يطل

منهما من الخب والخيانة . فرما بما في يديه بعيداً . . ولم  
يتمالك منع عبراته عن أن تسيل وتميض ، وباعة طريالة من  
صدره الحرى ، كاد يث لها من بين جنبيه قلبه الشائر ،  
ارتقى على مقعد كان بجواره .

مضى عليه خمس دقائق أو أكثر وهو فى شبه انحاء  
يحس كأن وثير المقعد أقسى وأنكى من القناد ، وأحر من  
الجر . ثم أفاق ونظر الى ساعته فاذا بالوقت قد أزف ،  
والسكاهن قد قارب وقت مجيئه أن يحين

هب من مقعده منتصباً ، وبصوت ينبىء عن حمية  
وينفصح عن عزيمة قوية قال

- لا وربى ! : انى لأقوى من أن أضعف وأخور  
أمام تلك الخائنة الفادرة . .

وضغط على جرس بالحائط ، وسرعان ما أقبل الخادم .

- نعم سيدي ! .

- هل والدى موجود ؟ . .

— أى نعم . . . انه يجالس بعض الاعيان والكبراء .

— أهمس فى أذنه أنى فى احتياج الى محادثته لأمر هام

وعاد الخادم ولم يمض دقيقتان حتى حضر الوالد مضطربا

خشية أن يكون قد أصاب ولده مكروه فابتدره م . . قائلا

— ارسل ياوالدى الى الكاهن ترجوه عدم الحضور

— عدم الحضور ! . لماذا يابنى ؟

— لأننى لن أتزوجها . وتفوه بها فى اطمئنان وثبات .

— من هى ؟ . .

— ع . . قال ذلك بعنف واستطرد

— انها خائنة ، انها عاشقة متهتكة . ها هو الشاهد على ما

أقول . وحسبك هذا دليلا . ثم أشار الى الخطاب قائلا

— يحسن بنا ياوالدى أن تنتهز الفرصة الباقية .

أمسك الأب الضورة بيد مرتجفة ، وصدره يعلو من

الطلع وينخفض ، ثم قلبها فراعته أمرها وسلب لبه ، غير انه

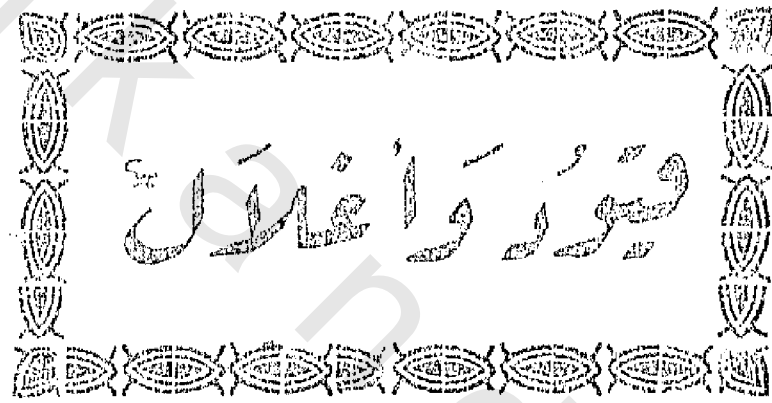
تشجع عند ما رأى من عزيمة ولده ما لم يكن ينتظر . وللحال

كتب رسالة وأعطاهما شخصاً أمر بتسليمها الى الكاهن ، بها  
« بعد السلام . أصيب وادى بمرض فجائي ، وحضر  
الطبيب الآن ، فقرر أن المرض قد يطول أمده . ولهذا  
عز منا مجبرين على تأجيل كل شيء حتى يمن الله بالشفاء »

\*\*\*

بلغ العروس خبر مرض خطيبها الفجائي ، وطلب منها  
أن لا تكلف نفسها مشقة الحضور اذ قد تأجل الزفاف الى حين  
وبعد أيام قلائل بحث م . . ونقب ، حتى تأكد من  
صدق رواية زميله ، وانها حقيقة تحب سواه . . ففسخ  
الخطوبة ، وبحث بعدها عن زوج صالحة ، وتزوجها بعد  
بضعة أسابيع ، وعاشا معاً يرشنان كؤوس حب مريء ،  
وسعادة لا عيب فيها سوى أنها كاملة وافرة .

أما عائلة العروس فقد اشتدت عليها الصدمة ، وعظم  
وقع الرزء ، فرحلت الى بلدة نائية ، ولا يعلم أحد ماذا انتهى  
اليه مآلها . .



فیروز و افغان

obeykandi.com

{ ١ }

تخطى عهدي الطفولة والصبي ، ولفحته نسائم اليفوخ  
بإشراقها وبهائها ، وتفتت حميا الشباب في عوده اللذات  
الرحيب ، وأصاحت ثورة البلوغ وفورة المراهقة بهدأة  
نفسه وسكونها ، وخنود قلبه الصغير ودعته ، وبات بمدها  
دائب التفكير في كيف حال كل شيء أمام عينه وتبدل ،  
وصار يسترعى منه العجب الفارط والدهشة أن يلتصع تطور  
بدنه واكتمال نضوجه قد بدا في فترة ليست بالطويلة .

وانبثقت امينه أشعة من فتنة هذا الشباب الطارق ،  
اذ وقف مرة يواحه صفتة المرأة في شيء من الانعام والدقة  
والروية ، وراح يتأمل ما قد لاح على وجهه الرائق وشاع  
من علائم جديدة ، وتغير في السمة والملاح . فراعته ،  
وأفاض الطرب من قلبه ، وملاً نواحيه ، ما استروحه من  
حسن الرجولة وأحسه يخالط وجهه الوضاء .

وهو وان كانت أيام الصبي قد استبقت لها في محياه ،

أكثر ما توج ذلك الوجه فيما مضى من آثار جمال غريب  
وفتنة ساذجة ، إلا أنها تبدو اليوم يكسوها ثوب من العظمة  
والنبيل والجلال .

فتلك العيون المسلية الواسعة قد تغطت عنها النعاس  
والندبول وبدأت تفيض عمقاً وتفرساً وان لم يخل غورها من  
كثير من العطف والتحنان ، ونظرات الطنولة الجميلة الساذجة  
أصبحت تنبثق رنواتها الصريحة فاحصة نفاذة ، لا تنبعث  
صوب شيء مبصر وتقنع بحاضره ، كأنها سرّاً تستكث به  
غامض المستقبل ومستسره . وذلك الفهم ما زالت ترف على  
ثناياه بسمه الأمل الواسع العريض ، وإنما في شيء من الحزم  
والجد والرزانة . وتأنك الشفتان الرقيقتان ما برحتا تمان  
على العذوبة والرقّة وإن كانت قد نبت على طول العليا منها  
وظللها شعر أسود قائم ، وهو لحكته قد بدت آثاره جليلة  
وإن كان في خفة الزغب ونعومته ، وفي مثل تفرق أسنان  
المشط الدقيقة .

سر « كمال » وذلك اسم فتانا لتلك الشعرات الوشيكة  
الإنماء أيما سرور ، ولس الطرب والحبور فؤاده ، ونض فيه  
وهو يتأمل وجهه المنعكس على صفحة المراة في شيء من  
الاعتزاز بالرجولة ، عن بسمه ضئيلة ، وامتدت أنامله في  
تريث لتحس ذاك الشارب الرضيع .. وتري مدى طول  
شعراته النامية .. فما كان يفوز بقبضها الا لتلف في وقتها  
وراحت يده تلمس صفحة وجهه الرقاقة الصافية ، فأحست  
ديب الخشونة الرفيقة يسرى اليها . وسرعان ما أدرك  
كيف انبثت شعرات أقوى من تلك في عارضيه وذقنه ،  
وما بقي الا ايام قلائل حتى تلف تلك اللحية وتستدير على  
حد قولهم بعد أن تعمل فيها أمواس « جيليت » أو « أبي  
الهول » أو موسي الحلاق اذا تيسرت له أسباب ذلك  
وتوفرت .

﴿ ٢ ﴾

كان فتانا راجح اللب واسع النهي ، حاضر النكتة  
خفيف الظل ، رضى الخلق نبيل الاحساس ، وهو الى ذلك  
حاو الحديث طليه ، شديد الاسر قويه ، دائم البسمة  
هادئها ، ما يفتأ يفتقر ثمره بين النينة والنينة عن مثل اللؤلؤ  
الوضاء ، مما يكن من خلانه ورفقته الا أن يؤخذوا لذاك  
السحر وتلك الفتنة ، وتسري الى نفوسهم وتناسب عدوى  
تلك البسمة الملاحية وسرعان ما توحى بأمرها الى صفحات  
الوجوه فيقابلونه بمثلها ولو كان بالذهن اعياء وبالنفس  
شجن وكلال .

ولقد أصبحت تلك الابتسامة البريئة الساذجة سليقة  
عنده وطبعاً ، أو بالحرى جزءاً من ملامح وجهه الدقيقة  
كالعين والأنف ، ان لم تكن أظهرها أثراً وأقواها رونقاً  
وبهاء . وأصبحت تتم عن صفاء روحه وحسن طيته ونقاوة  
سريته من دواعي الانانية وهوامل الحقد والبغض والكراهية

ولم يكن « كمال » ليحمل لشخص آخر شراً ويسكنز  
ضعيفة . تنهره متصنفا الغضب فلا يعبس أو يضطرب ،  
ويقابل ما تفعل ولو أسرفت في تعمدك ثورته بالبسمة  
الضئيلة عينها ، فكأنما فيها الغضب ومنها السرور ، وتحوي  
البخس ومنها الرضى .

وكان وفير الصحاب ، كثير الرفاق ، ولشد ما كان  
يغضب وتطرب نفسه إذ يرى الخير يذكي عاطفتهم ويغمر  
الوفاء أفتدثهم وتستويهم الروح الأخلاقية النبيلة ، التي  
يشمر بها تداخل أعماقه وتستويه .

وكان يميل الى أن تسكتسى أحاديثهم مسحة الفكاهة  
وتتمزج بها روح المزاح في غير افراط ، اذا ما بضع النفس  
هموم أو ألم بها كرب واعياء . وكانوا يؤثرون الحديث  
الطلي والسمر الذي يختلط به ما يبعد السأم ، ويقرب الى  
الذهن الراحة ويجاو عن الجنان صدا الكد والجهد والعناء .  
وما أحلى أن يسمع « كمال » وصحبه زغردة الناقوس وصداصلة

دقاته المرجوة ترن في الفضاء وتتمشى الى الأسماع في السكون  
الشامل لا يتخلله إلا صوت المعلم في كثير من الرزاة  
والهدوء أحيانا ، أو الحماس أخرى . فيهبون الى فناء  
المدرسة مكونين من سربهم حلقة تقرب من الاستدارة  
يتعالى منها ضوضاء حلو ، ثمزوج بنغمة غردة أوحى بها  
الدعابة الوديعه ، والمرح البريء السائد . والكل تراء وجهه  
بسمة ملحة غالبا ما تحول الى قهقهة لقول ظريف أو ملحة  
ساذجة فيها أدب ووقار ويكسوها انسجام .

ويحسون كأنما الوقت اللعين يسلبهم هناءتهم بانقضاء  
تلك الدقائق السعيدة فيدخلون بعد انتهائها لتلقي الدرس  
والنفس مأثرها الصفاء والذهن راح منه الكلال والاعياء .

\*\*\*

وشبَّ « كمال » أطول قواما وأرفع غصنا من كثير من لداته  
وأترابه . وكان على حداثة سنه مشذب العود ، جلد المراس  
متين البناء ، مفتول العضل ، متسق الاعضاء ، مبسوط

الاطراف . لم ينل ذلك الكمال الجسماني الا بفضل ما  
غرس في نفسه من شغف جم وولوع زائد بالالعاب البدنية  
ومن اولتها منذ الصغر . حتى اذا ما بلغ هذه السن الفتية  
جابهك بمظهر رجل الرومان ومثلهم الأعلى . وطالعك  
بكفتين عريضتين يمتد بينهما صدر رخي رحب ، ووجه  
متورد يتقطر منه ماء العافية .

وما أكثر ما طرقت أذنه عبارات الاعجاب التي كان  
يتنوء بها رفاقه التلامذة ، وأحس نظراتهم التي يلقيها عليه  
بمتنهم يطال منها وتامع معاني التمني لاحتراز مثل ذلك البدن  
البديع . وكان مثلاً أعلى في معهده لمن جمع بين النجابة ونبيل  
الحجى وتوقد الذهن ، وبين البدن الجميل المعافى . وكم من  
مرة فاه أساتذته باسمه عند الاستشهاد على صدق القضية  
القائلة بأن العقل السليم في الجسم السليم .

( ٢٣ )

مضت شهور ووافقت عمر « كمال » السادسة عشر ربيعاً .  
سن تنبه لها والده وعمل لها حساباً عسيراً ، واسترعى  
ذهنه خطورة ذلك الدور الذى يجتازه والده الى مرحلة  
الشباب النائرة الطائشة . واستفزه ذلك وحسه الى أن يجهد  
نفسه فى أعمال السكر ، واستلهم الكلمات النفيسة والعظات  
ويكد الخاطر ويشغله علمه يتمخض عن وسائل ناجمة فى  
التربية ، ومقومات يدرأ بها عن خلقه آفته ، وتشد من  
صلابته وبنائه

ثم انسات الى فكره الناحية الوجدانية . وصار يسائل  
نفسه كيف يتسنى له أن يكبت من عواطفه اذا التمح  
ثورتها أو حتى يميئها . فيمكنه بعدها أن يخلق من ولده  
الشاب عفاً طاهراً بدل أن يفلت من يده شيطاناً فاسقاً  
وفكر كثيراً . وساعل أقرانه عما يرونه صالحاً ومقوماً  
وودَّ لو يتعرف الى من وقفوا منهم هذا الموقف قبله فما

أصدق المثل القائل : ولا يثبتك مثل خير . وأصبح ذلك  
الامر شغله الشاغل وسبب الحيرة عنده والقلق ، حتى هداه  
تفكيره الرجعي الي أن اللين لا يكون بحال مستساغاً لمثل  
ولده المراهق وأنه وإن كان في يوم من الأيام الساقطة مسالماً  
له فما ذلك الا لان الطفولة البريئة الرادعة لا تستحوذ من  
وراء ذلك نكراً وخسراً .

وارتاح الى التوفيق الى هذا الرأي الرادع واطمأن  
الى نتيجة المرضية التي سوف يطالعه بها المستقبل القريب  
وقبلة مرة صديق . . . وتجاذبا أطراف حديث خلق  
طويل يبحث مسألة البلوغ والشباب . وتظاهر الصديق  
باللباقة وادعى المصاحبة . وتنحج كأنما يعد العدة ليبحث  
قولاً رائعاً وكلاماً مسيهاً الى أن قال

تسألني يا صديقي عن ولدك وما تعمل خياله . . للطفولة  
عمل والصبي يحمل ولكن للفتوة والشباب أعمال . سأذلك  
على الدواء الناجع .

اياك والتهاون في الأخذ بالمشورة يوما والا فشل  
 مسعاك ونهيج والدك نهجاً معوجاً . . لا تكن معه يا صديق  
 الا صارماً عنيفاً . الصرامة والشدة بكل ما فيها من قوة .  
 وطرب الأب وهمل بشراً ، وقر رأيه على أن يبدى  
 من الشدة ما خفي ومن الصرامة والنفذ في معاملته ما غمض  
 ولا يسلس له القياد فينضي عن محاسبته على كل دقيقة  
 يصرفها في غير داره ودون استذكاره . ولم لا يقيده  
 كالحيوان ولا يمنحه ما يراه لازماً له وضرورة لازمة الا  
 بمقدار والا فقد يساق مندفعاً بحمة الشباب وشرته  
 وغوايته في طريق معوج شائك يوصل الى الخيبة والدمار  
 ثم لم لا يبعث في نفسه وقلبه روعة الدين وحب  
 الايمان ويشربهما روحه الفقية ليغرس فيه التقى والورع . .  
 وصمم أن يشتد معه ويقسو عليه حتى يقرأ كل يوم  
 ساعات يستوعب فيها من كتب الدين ما يشذبه ويصقل  
 نفسه وينفر اليها غث الفعّال وفاسدها .

﴿ ٤ ﴾

أحسن " كمال " نفسه تبدلت نفسا سواها وقلبه قد  
أوحش وحال فؤادا غير الذي كان يحقق من قبل بين جنبيه  
وينبض . وروحه استشعرها كالربيع أقفر من مؤنسيه وخلا .  
ولكن السكون مع تلك الأحاسيس التي تناوبته كسته حلة  
زاهية عن ذي قبل كأنما تفتحت أكماله ونضت عن  
أزائيرها النضرة وجمالها السابى وأرجها الفياح . ولقد شهد  
في فترات كانت قد انحسرت عنه فيها تلك السدول واختفت  
الأقنعة فبدت له الغزاة في اشراقها انضر ذهباً وأسبي  
وهجاً وحنيا في والقمر سطوعه أبهى مرأى وأبرق لجينا  
وأصفى . والطبيعة تحتال في أردان سابعة فضفاضة وحلل  
زاهية من الجمال والروعة .

ولكن تلك الفترات لا تستديم طويلا . إن هي  
إلا كالبروق تومض لحظات ثم تختفي . وتبدو بعدها للعين  
الحسيرة مساوبة النضرة ويعود القلب كما كان موحشاً

كالفراغ الباقع . والبسر لا يقف إلا على سكون ووحشة ،  
ومشاهد مماوله

وأخذت تتراعى له المنظورات يوماً بعد يوم غير  
مألوفة ، عليها تلك المسحة الجلية من التغير والتكر ، ولكن  
ما زالت منطبعة في حافظته رسومها الجلية وصورها  
الرائعة ، يوم تبدى له على سحبتها الحقة وجمالها الفاتن  
وساعة يضي على مخيلته ويفيض احساس حلو تأتي به ساعة  
الحلم أو الذكرى وتبعثه

\*\*\*

وراح يفكر في مبعث تلك الوحشة القائمة في نفسه  
ثم مهبط تلك اللحظات التي يتزين فيها السكون ، وتزدهي  
لعيته الطبيعة وتتلاّأ فتصيبه بمثل الاحلام المعسولة ،  
وتغمره بسيل من رحيق السعادة الهامى ...

وتشوش الامر على خواطره المضطربة ، وتحير في  
تعليله . ولكن ما باله يرى السماء ساعة صافية اللون غير

مشوبه الزرقة بكدر السم أو تلبد الغائم ، ثم تنقلب في ذات اللحظة لعينه مرئاة محزنة ، وما زال يتنشى في نواحيها وبين أعطافها الصفاء ، ويتجلى للبصر رائق زرقتها . وكذلك كل شيء يسدو لبصره ويشهده ، ما برح بالرغم مما يتلبسه من بهاء آخذ ويتقمصه من قتنة آسرة يشعر له بأنه قد تغير تغيراً لا يدرى له تحديداً وتعليلاً . ووجوه الغير وسخفهم . كم كان يستريه لدى تأملها مثل هذا الاحساس المتلون . وحتى وجه جارتة الصبية الحسنة ، لقد شهدها منذ عام في ذلك الجسم النامض وتلك الهيئة الحلوة ولكنه في تلك الايام عندما يحدق في معارفها وتحقق هي في ملاحظته يقبل عليه ذلك الاحساس الجديد في نفسه ويفمرها في عينه نورا ساطعا وملاحة رائعة وجمالا . ويستشعر لذلك النور السرى هوى في نفسه ، وسنا متألقا يطمس لحظة طويلة ويفشى كل ما تقع عليه عينه وما يهيجس به خاطره . واهتدي أخيرا الى ادراك الحقيقية وتامس الواقع والى أن شيئا من التغيير والتنكر لم

يقع فيما قابل طرفه أو يشب ما تملت منه عينه يوشد من  
مناظر ومشاهد وقسمات ووجوه . وانما هي روحه قد  
تذكرت في ثوب من أثواب اليفوعة يهفو بالخزين كلما استقبل  
ناظره جمال ، وبالسامة الممضة إذا أقفرت منه معانيه .  
ونفسه قد اعتراها شيء من التطور توثبت له وجهت من  
أجله الى نزعة لم يستكنه غامضها بعد ، وقلبه أخذت تذكي  
به لخصب منبته الوان من الاحاسيس والوجدانات .  
وهي التي تثير بين حين وحين حاسة الجمال فتكسى كل  
مرثى تستروحه العين فيلوح أملح ما يبدو وأبهى ما يبين

{ ٥ }

صار « كمال » يغدو ويروح بين تجول فيها وتامع  
معاني القلق والحيرة ، كأنما ينقب عن أليف منقود أو  
أنيس تائه . وروح يستشعر أنها تبغى أملا دقيقا شاحطا  
ومنا لا قصيا لا قدرة له ولا إرادة تصده عن اقتاده ،  
فكأنما تنتقص لمزايلته أسباب حياته ودعائم بهجتها . وبقلب  
يحمس أو تارد تترنم بالوحشة المضنية والشجى الممض ، ويقتر  
لحبا من الرقة والعذوبة والتوافق . وهو ينشد له شيئا  
يدفع إليه دفعا ، وإن كان يستتر عنه ويهيم عليه وإعما  
يوقن أنه سيمحرك تلك الأوتار بعزف رخيم ، ويؤاويه  
بهزج مفرح غرد ، ويبعث الآمال السعيدة في نفسه النافرة  
والنور ساطعا في دياجيتها .

وابتدأت تتوقف رويدا رويدا تلك البسات الراقصة  
على شفثيه . ثم أخذت تزايل أساريه وتختفي بعد  
ازدحامها ، ولكنها خلفت أثرا غامضا لا يدرى إلا أنه

غمر شفتيه حرارة وحنينا . ومال إلى أن يحركهما بالنطق  
والآهة وقتما تشد عليهما لفحة ذلك السير الخفي لتفصحا  
عن سرهما العميق ومطلبهما . . ولكن خرستا ولم تنبسا .  
وما توقفت عن أن تنفث فيهما حياها فتتها .

وفي مغرب يوم من أيام رمضان وكانت صائفة  
قائظة ، وفي ساعة أخذ قرص الشمس فيها يتحدر في  
سكون ورهبة للمغيب ، واستكن الناس في دورهم يعدون  
طعام الإفطار قبيل إطلاق المدفع بدقائق معدودات ، كان  
« كمال » جالسا إلى مكتبه يحلم ويفكر . وصدره  
تتجاوب فيه رنة غير مبهجة ، وتتردده أنفاس حارة لاذعة ،  
فيتجهم وجهه ويقطب تقطيبا خفيفا ، ثم يسأل نفسه  
مستفسرا ... ما هذا الضيق ! ألا من سبب ؟ . .

وشعر بهاتف يلوح كالقطر تنادت له جوائحه  
وخفتت له أنفاس صدره وتمشى مع ذلك الهاتف شعور  
أنملى لترائيه شبح تلك الوحشة المبهمة ، وأثر الحرارة

المفحة ، وأحس بالطمأنينة تواتيه بعد القلق والحيرة ، وقام  
من جلسته بعد أن اطبق كتابه ، وقد انتفض بدنه الناضج  
شوقاً وحنيناً . وشقشق كالنجر في دياجى نفسه طيف  
جاراته الصبية الحسناء . .

وانساق بتلك القوة الروحية المذخورة إلى دارها ، وبه  
عزيمة ملحة إلى الاستمتاع برنوة صوبها ولقمة منها . وساقته  
قدماءه إلى منزلها ، وكانت تطل وقتذاك من شرفها المتعالية  
عن أديم الأرض بضع درجات ، تشهد الطبيعة الهادئة  
تمهياً للنعاس ، والخلقة المهاجرة في سكون وهدوء كسكون  
الأحلام ، والسماء وقد تمشى في أطرافها ذهب الأصيل  
وسال . وفي تلك اللحظة مرَّ فتانا يترب شرفتها ، وأطل  
إليها بعين ساهرة ولحاظ مفتونة ، ورعته هي الأخرى يبصر  
سأب وطرف متكسر .

واستعذب ذلك قلبه الوامق وأحب أن يعاود النظر  
طويلاً ، وأن لا يبرحها إذ قد اقتطعت جزءاً من قلبه المطل

من مآقيه وروحه الشائعة فيها ، ووطن النفس على أن يسير  
أمامها جيئة وذهوباً ورناء إليها ثانية في خجل وحياء  
فتبسمت له وما كانت دونه ارتباكاً أو أقل منه استحياء .

فتبسم ... وتذوقت شفتاه حرارة لم يعدها في حياته سرت  
إليهما ، وتمشت فيهما رعشة رقيقة كأنما تبنيان نطقاً  
وإفصاحاً ، وصعدت إليهما من القلب تهدة لنعتهما بمثل  
السعير ولكنه أحس لها بنبطة نهضة .. فلم يمالك أن  
أطبقهما .. ورفع يده دون وعى يتلمس شعره ويمررها عليه  
فتنبهت ، وحيث في خفري الأخرى بمسة من يدها الجميلة  
لغداثرها الكثة الفاحمة .

استولى عليه في تلك اللحظة شعور غريب لم يحسه  
قبلها ، وتدانى إليها وهي في وقتها بخطوات متتدة جريئة ،  
ولم يلاحظ إلا أنه يدفع قسراً إلى ما يقدم عليه ويأتيه ، حتى  
إذا ما قاربها بحيث يامح صدرها الخافق ، وخديها وقد  
اضطربت حياء خالتا شفقاً آخر ، ارتعشت شفتاه هذه المرة

رعشة ناطقة ، وأوحى إليهما القلب الخفاق بما يزر به  
ويفيض ... بالسعادة ... وغمغم في فتاف حار ...  
... أنا سعيد بك ...

وكان شعورها أعمى من فيض قلبه ففردت  
... وأنا سعيدة بك ...

وسمع اللحن وكان له فيه سر الحياة وفلسفتها التائهة  
وسار عائداً الى داره وقد وضع له ذلك التنكر وتلك  
الاحاسيس الغامضة وفاض في نفسه الى جانب القبطة  
الزاخرة شيء من السسخر على فلاسفة السعادة ، إذ جهلوا  
تعريفها ، ولعقوها بغير هذا الذي استشعره وأحسه يفيض  
ويفعم نواحيه .

﴿ ٦ ﴾

وخلقه الحب خالقاً جديداً ، وراح يحمله الى جانب عقله ، وروحه وقلبه ، عضواً آخر غير ما درس ، لا يحس منه الا أثره الفعال ونوره الواصل البهي . . . تلك هي المهجة المستهامة . . وبات بعد أن تذوق راحها مرقناً أنها حدرته الى عالم آخر اسمى وأزهر مما كان يعيش فيه . . عالم كله حسن ونبل وجمال وسعادة . وبدالة رحيق نبعه حاوا صافيا ، فهو بعد ارتشافه أسعد مخلوق تحمله الارض وتظله السماء ، وكأنما تلك المهجة المستهامة نفشت من وهجها في ذلك القاب العاصر الخفاق فانصهر وسال ذوبه وانحل من حرارتها الشائعة في كيانه ، وبخرها العبق في باطنه ، ذلك الذهن الهادي المستقر ، والروح القانعة بحاضرها وانصب ذوب كل منها في قالب جديد من الثبل والعظمة ، أحوال الذهن الهادي الى جرة تتوقد ذكاء وتستمر فكراً والروح القانعة الى أخرى محلاة تتوئب الى السؤدد والسمو

ونبل المقصد ، وتبغى على المثل ولو كانت شاحطة قصية  
بين طيات الاثير . وقلب يدين بالهوى العف ويستسلم  
لنواهيته ، ويؤمن في حرارة وصدق بخالقه وخالق الكيان  
الذى يحل فيه ، ويأبى الا أن يؤدي في أمانة رسالة حبه الى  
صاحبه ، ويؤدي اليه دين تلك الهبة التي منحها السماء  
وبذرتها في حياته وخلال سويده

فقبس للنفس من ذلك الضوء النقي الخالص ومنحها ،  
وراحت هي تسمو بذلك السناء وتتسامى ، وتسلك على نوره  
الطاهر طريقها الى عذاب الأمان والآمال ، وتكشفت له  
على ضوء ذلك السر الالهى أسرار الانسانية المختلفة وخفاياها  
وبدت له ألوانها وما اشتملت عليه من جمال وقبح أو سمو  
وضعة . ومنها عرف كيف تنطرح مثل تلك الأشعة في  
أعمق أغوار القلوب فتذكي فيها دواعي العظمة والنبوغ  
وتلهبها .

وحن منذ تلك اللحظة الي أن يقف على تاريخ

الإنسانية مستقنى من تاريخ قلوب أفرادها ومال فى شنف  
وحنين الى أن يستطاع مكان النفوس الهائمة ويستنبىء ما  
تنطوى عليه الافئدة الوالهة ، فان مادة الصديق فيها لا بين  
وأوضح . وانه ليستشعر ميلا غنيا الى أن تخرج أحاسيسه  
الفائضة بما تفصح عنه مهب النير وقلوبهم . ومهاقت روجه  
على أن يتلو الادب الذى يشيع فى ثنايا أسطره خفقات  
القلوب وخوارج الوجدان . وانها لتبرز منه أوتار قلبه  
ومشاعره هزات رفيقة مسرة .

وأنه ليقرأ أحيانا أغاني الحب الساي ولا يجد لها تزيـد  
عن أن تكون شكاة روح أو مناجاة قلبين ، فاذا بها من  
الروعة والجلال تحاكي حديث قلبين سماويين ، واذا به  
يتعالى بفؤاده ممها عن عالم الرجس والذنس ، واذا بفيض  
من الايمان والطهر والنقاء يشوب كل حاسة ويعمرها ويبدو  
آنذاك كما لو كان يتلو بقلب خاشع أنجيلا

﴿ ٧ ﴾

لم يكن « كمال » ليدرك ما اعظم عليه والده واثواه ،  
ولم يكن ليهجس في خالده يوماً أن نهج تلك الحياة التي ينتمى  
بها قد تكون هدفاً لتجريح والده له وثورته العنيفة عليه .  
ولإن كان قد شهدته في أيامه الأخيرة يطالعه بين حين وآخر  
بوجه خشن ، والتمحه يقابله بسحنة مقطبة إلا أنه كان  
يعزو ذلك إلى الآم تقسية تكون قد أخذته وارتسمت آثارها  
على وجهه

ورأى « كمال » يوماً منزله قبيل أصيل ، إذ كان فريق  
من مدرسته ينازل فريقاً آخر في كرة القدم . وكان مازالت  
تستحوذ القبطة على نفسه بعد أن مر في أوبته بدار حبيبته  
وكانت تنتظره في قلق . وحياتها ببسمة وإيماءة تحية اليوم  
الموهوكة وجلس للعمال إلى مكتبه ينسق لها رسالة يصف فيها  
النصر الذي حازه ، والظفر الذي نالته مدرسته على يديه  
وهو يشعر أنه مدين لها بذلك الجبروت الذي يؤاتيه فينبز

من أجله خلّاه ورفقته وأنه ذكر اليوم طيفها ، وخيل اليه  
أنها ترمقه وتطل عليه خلال عين من عيون السماء وكأنما أخته  
وقتذاك قوة علوية كتلك التي تسجل لشمشون الجبار .  
ثم كيف كان يدفع كالسهم يبغي الهدف دفعات ولا تخيب  
رميته في إحداها أو تحيد . وأنه ساعة حمله رفقته المسممين  
في الخلبة على أعناقهم لفرط ما نالهم من الاعجاب بمحقته  
النادرة وحذقه ومهارته ، وساعة أقبل مدرسوه عليه  
يمتدحون فيه تلك الكفاءة المنعدمة النظير ، لم يكن هذا  
كله ليتوازن مع كلمة الرضى والاعجاب تخرج من ثغرها  
العذب الرقيق . وأنه ليستشعر مع هذا كله أنه يبدو في عين  
نفسه أقل جدارة مما يجب أن يكون غير أنه يأمل في  
القريب أن يكون ذلك الإنسان الخليق بحبها . . . أن  
يكون عظيما . .

وفي تلك الآونة السعيدة ، بينما يسطر ما يمليه قلبه ،  
ويستنزل وحى حبه وإلهامه ويذهب في أحلامه العريضة

مذاهب النديزة إذا به ينتبه على صوت والده المفاجيء وانحرف  
بصره اليه فاستقر منه على وجه كاسف وجبين مقطب  
وصفحة معتمة . ثم أخذت أساريه تنبسط لماما ، وتبين  
عن إحساس النصر والظفر كأنها كان الصائد القانص قد  
ضيق الخناق على ذئب طريد أو رماه بعد الجهد فأصمها .  
وذعر الشاب للصورة التي بدا عليها والده وبان . ووافق  
من دهشته على سؤاله الذي ابتدره به في عنف وسخرية  
- ما ذا تفعل ؟ نبشني اين كنت الى تلك الساعة وسبب  
تأخيرك . أجاب

- تلك رسالة صغيرة أكتبها

وببت الاب تلك الصراحة المقيمة يجابهه بها ولده ،  
ولاح تحت تأثير ما اتا به من افعال الحواس مضطربا حائراً  
وأحس شعور المقت لولده والكره له يفيض على كل ما عداه ،  
واندفع ديبه الى الذهن فأثاره وود لو يملك القدرة على قذفه  
يكلام كالحلم يصعقه ضعفاً ثم إذا به ينفجر صارخاً في وجه ولده

رسالة يا فاسق ! .. ثم لا أراك تستعجى منى فتعفى  
أمرها الشأن ، واسمها المغيب . ولكن تلك علائم سقطتك  
في المجانة والهوى والعبث . وما ذا كنت أبتغيه ياوح منك  
ويبدو سوى ذلك ؟ .. امرؤ يسقط في مهاوى الحب وينزل ،  
ثم يدنقه المشق ، خليق بأن تنكشف نفسه عن سوءتها  
وأخلاقه عن قبحها ، وأدبه عن فساده وضعته ، وقلبه عن  
دنسه وفسوقه .

ما ذا ارى ! .. ولدى متيم عاشق ؟ .. كلا وأيم الله  
إنى لأربأ بنفسى من أن أكون بعد اليوم أبالك  
ثم تقدم صوبه حتى لامسه ، ومد يده الى بضعة كتب  
موضوعة على مكتبه . فأخذها وقال محتداً غاضباً  
- وهل أنت حقاً صاحب هذا ؟ وهل هذه مؤونتك  
في الفحش وعونك عليه .. ماجدولين .. الشاعر .. آلام  
فرتر .. زينب ..

لقد دنست الدار بما حملت اليها من تلك القاذورات

ولوثت جذرائها . انى لالعين الساعة التى ساقتنى فيها قدمائى  
بالامس الى هذه البقعة حيث وقع بصرى أثناءها على هذا  
العبث المسطور ترعاه وتبجله كما يرعى المابد كتاب الله .

ثم فتح أحدها وقرأ بصوت خشن

« أصبحت يا وليم لا أرفع الصلاة إلا لها ولا أنخيل  
الا صورتيها وشكلها ، ولا انظر ما حوالى من الاشياء الا  
مضافاً اليها ومرتباً بها . وتلك حال تشعر النفس بالسعادة  
حيناً . فاذا نرعت من جوارها ، وحيل بينى وبين استحضارها  
فلا تسل عما يملأ العين ظلاماً ويفعم القلب وحشة ! .  
آواه يا وليم ! لو كنت تدري أين يذهب القلب باخيك  
فى أكثر أمره ؟ . . . حيناً أجلس ساعة أو ساعتين أمتع  
العين بقسامة وجهها ورشاقة حركاتها ، وأشرف الاذن  
برقة عبارتها وعدوبة كلماتها تشهر مداركي شيئاً فشيئاً بتوتر  
شديد وضغط عنيف ، فيظلم بصرى ، ويثقل سمعى ، وأحس

---

من « آلام فرير » للفيلسوف الالماني جيتي تعريب الاستاذ الزيات

خناقى يضيق كأنما أخذت به يد قاتل ، فيجهد القلب أن  
يخفف من ارتباكى ، وينفس عن إدراكى ، فيشرر تأثيره  
ويشتد وجيبه ، ولا يريد الأمر إلا اضطرابا وقلنا . فى أكثر  
أيامى لا أدرى يا ولیم أفى هذا العالم أنا أم فى غيره .  
ثم توقف عن القراءة لحظة قصيرة وقال :

هذا يسحر لباك ويعجباك ! . تلك أغانيك التى تسهر  
تتسمعها كل ليلة وتنشدها . . وماذا أبقيت أيتها اللعين  
لدينك . . . لرباك . . . بعد أن كفرت بنعمته وجحدتها  
لقد خدعت يوم أخبرونى أنك أذكى رفقتك وأشد هم نجابة  
وفهما . وأنتك تنزهم وتذكر ما لم يدركوه . كذبوا بقولهم  
هذا . وما مثلك ينتفى له بعد الذى وقع لى منه نجاح أو  
فلاح . إن هو واجد إلا سوء المنقلب وشر المآب . الغد  
قريب أيتها العاثر . سوف أطهرك من هذا الرجس المقيم  
بقلبك والدنس المتمكن منه . وإن كان اليوم يتلبسك شيطان  
الحب فسأشعرك بالذلة وأرياك من ضروب المهانة ما يحق

عليك من أجله ويحتويك . سوف لا ترى منى سوى  
السخط جزاء ما تلوث بالفجور إزارك . سأعلمك كيف  
تغسل هذا القلب وتحيله ابيض اشد من الثلج نصوعاً وتفعمه  
إيماناً . أما هذا . . تلك الكتب المسمومة ففيها الفساد ومنها  
الغواية . . سوف لا تفيد منها أكل شر وبلى ستودى  
بك لو تتبعتهما إلى جهنم وبئس المصير . .  
ثم قذف بها إلى النافذة

\*\*\*

وسمع « كمال » كل هذا ولم ينبس أو تتلجلج بالكلام شفتاه  
ونظر حواليه بعد أن تركه أبوه ، وابتسم ابتسامته الحلوة  
الهادئة وتحركت شفتاه تبغى نطقاً إلى أن قال  
.. ما أشبه الوهم بالحقيقة . . تلك هي أحلام اليقظة

( ٨ )

صديقي ح . . .

. . . وبلغك أمرى وما ألت اليه فجذعت من أجله وما  
صدقت . . ما أرق قلبك وأصناه . تلك شيمة من يحيون  
أحرارا لا تكبلهم القيود ولا يرسفون فى الاغلال . ما  
أحلى كلامك وأعذبه . هو أثر من الذكرى المعسولة  
المنقرضة . تقول لو أن أحدا كان يستحق أن يحسد فى  
الوجود على النعم الموهوبة له فهو أنا . لك الله يا صديقي  
أنا اليوم مخوف بالخسف أسام الذلة واتجرع الصغار . . أنا  
اليوم استدرج من الغير عبرة العين وزفرة القلب . لست  
اليوم كما كنت بالأمس حرا طليقا . لا أحمل من الماضى سوى  
ذكرى خلقة بالية . تضئني أكثر مما تسرنى . ما كنت  
أرضى يا صديقى بأن يقف أحد على سر بلاوى ولكن حنينك  
المبعوث فى رسائلك ، وعطفك النبيل وجزعك ، دفعنى  
الى الافصاح لك وحدك . تسألنى كيف تغيرت ؟ كنت

أعيش في عالم كذلك الذي يوعد به المتقون . كنت ألقى في  
أكنافه صور الجنة . أريج طيب ، ونعم وتقر يد ، ونسائم  
علائل ، وازاهر فيح . . وهور . .

صديقي . . .

ليس هذا بكثير على من كان يحب . . ويتصور الحب هبة  
من العلا يمنحها الله ليبعث في الأفئدة الخشوع والطهر  
والإيمان . . فكان يهبى السكون في عيني كأنما كساه جمال  
إلهي . . . وكان في الذهن من هذا السناء سراج وبالقلب  
نور خالص يذهب الوحشة ويفنى الظلمة

تسألني كيف استحلت شخصاً آخر وتغيرت ؟ لقد  
عفا كل هذا وانقضى . . خبا السراج الساطع بالذهن . .  
وانطمس نور القلب وخلف سكوناً خرباً وظلمة واصبحت  
بعدها كمن ولد في سجن ممت

لا لا . . استغفر الله يا صديقي . لقد كذبت عليك لقد  
كنت مجرمًا آثمًا دنسا واليوم نقوت وتطهرت . نعم هذا

ما قاله ابى يومذاك وما أخبرنى به التيسيس . . انتظر أقص  
عليك جليلة الأمر . لقد علم والدى بخبيثة نسى ومكنون  
هو اى . . لا بل بسر جريمتى . ثم اذا به يأتى يوما مع رجل  
طويل اللحية أسودها يرتدى جلبابا أسود فكاؤه به  
قطعة ليل قاتمة . وكان فى رفقة صبيان جميلان يحملان  
مبخرة وكتبا كبيرا . . ودفع الى هذا الرجل الذى يسمونه  
قسيسا هذا الكتاب الضخم . . آه لقد تذكرت . . إنه  
الإنجيل . انى أعرفه تماما اذ قد قرأت فيه مرات عديدة .  
ثم قال لى أقرأ هنا . . وخفت وقتذاك من والدى وكان  
وجهه متجها . . فقرأت . ثم رأيت يتمم بكلام لم أفهمه ووضع  
يده على جبهتى بعد أن لوئها بشيء لا أعرفه فتوقفت أسأله :  
ما هذا . . هل انا ميت تصلون على . . قال وقد نظر  
الى نظرة حقد

— نعم أنت ميت بالاثم والخطيئة ونريد أن نفلسك  
ونظرك ، ونطلب من الرب أن يبعد عنك لوثة القلب الذى

دنسته وأفسدت طهارته . نصلى باسم الرب ليعمد عنك  
أبليس وقد تلبس روحك وتقمصها .

قلت له : لا . أنت كاذب لتقول هذا . أنت غي  
لتزعم أنه لا يعنى ما فى كتاب الله سواك . قف أسمعك  
بعض ما تعودت أن أتلف فيه وجهدت لأستظهره

ثم حاولت أن انتقى له بعضها . . شيئاً فى المحبة . . التى  
عانى ليظهرنى من أثمها ودنسها . ولكن رأيت وجهه يتقلص  
ويتلون ثم صرخ فى وجهى

— ألا تعرف أن ابليس اللعين يسكن بين جوانحك  
ويتكلم بلسانك ؟ وبعدها . . انتظر قليلا . تكلم كثيرا . لقد  
نسيت كل ما حدث بعدها اذ قد مضى على هذا شهر

صديقى

هل تقابلا ؟ حبيبتى ؟ انك ولا شك تعرفها ألم  
تسألك عنى ؟ بالله خبرنى أحقا انها عبثت وأحبت سواى  
لقد كنت أسمع رفقتى يتهامسون اذا ما صررت بجانبهم بعد

ان انقطعت عنها . انها حسبتني حنثت بعهدتها الباقي ونخت  
الحب . لقد ظننت اليوم ان القلب تنقل الى سواها فلا تعاب  
اذا ابتسمت لسواي او كلمته . مسكينة هي ظنت أنني احتقرتها  
وامتنعت عن الكتابة اليها . اني اوقن يا صديقي انها تحملت  
ولكن ملت الاضطبار . ألم اكن السبب في سقطتها واستهتارها  
واستحالتها من فتاة معصومة بالهوى العذرى الى اخرى  
من بنات الهوى الماجنات العاثات ؟

اسمع يا صديقي . أنا الآن طريح الفراش ويقولون  
لني مريض لا ابرح الدار . وما دمت مريضاً فمن المعقول  
جداً أني سوف أموت عما قريب . واذا ما لبيت نداء السماء  
فلا اشك في انك تحضر على عجل لتشيعني الى مقرى الاخير  
أعرفك تعشق الزهر الاريج والورود والفياحة كثيرة  
الالوان واعرف أن لك ذوقاً جميلاً في اتقاء جماعة منها  
لتسكون باقة لتضعها على مشواي المعتم . إن فعلت ذلك فهي  
منة احفظها لك حتى في الممات . ولكنى اجد ما هو أهم من

ذلك وأجدى . هو أن تتوجه الى دار حبيبتي وتخبرها بأمر وفاتي فقد يخفى عليها ذلك وتقول لها أنى سوف أحبها ثانية فى عالم غير هذا . . قد يكون حبنا فى الجنة . ثم اخبرها أنى سوف لأنساها . وانه لا ذنب عليّ فيما فرط منى . . فقد دفعت اليه دفعا

اسمع يا صديقي . . اشترى الكتب الآتية . . ماجدولين أو تحت ظلال الزيفون . . والشاعر أو سيرانو دى برجرالك وآلام فرتر . . وزينب . . والأنجيل . . ثم ضعها جميعا معى فى القبر .

### البائس كمال

\* \* \*

وجن « كمال » ، وانطفأ بعد وقده نور ذلك الدهن الجبار ثم عبثت حبيبته واحتقرت معانى الشرف والعفة فى الحب . . وبعد أن انسدل على المأساة الستار ... بكى آباء على الفضيلة المسفوكة . . وناح آخرون على الشباب المؤؤد . .

obeykandi.com



obeykandi.com

٣١ أبريل

لعلنى أتوق اليوم الى أن أقبض على يراعتى بأناملى المرتعشة  
الناحلة أنثى بها على الطرس ولو هرجا وهوسا، وما أشك  
أن النفس لا تجود بسواهما، إلا لا تنفض عن نفسى غبارها،  
وأجلو صداها، ولا أعلن لا نظار والدتى الحنون، وأبعت اليقين  
فى روعها، من أن عرق الحياة فى بدنى لا زال جاريا، ودمها  
ساريا، وأن الاقدار قد اشفقت عليها من أن يستنزف السقم  
القطرات الباقية التى تتعلق عليها انفسى .. فابقاها .. وهى  
يا للحسرة يضمنيها أن تمد بالحياة رضيعا ناميا .. وليس هيكلا  
مديداً فارعا

والطبيب صريح، عنده جرأة مستحبة، يهدنى بالهلالك  
إذا لم أرفعو فأقبض النفس فى أن تكتب حرفا، أو تتلوسطرا  
لئلا تحترق وتتبخر قطرة مما قد بقى ينساب فى جسمى الهامد  
فتنوء الباقية .. وهى مضناة كليلة، عن أن تقوم بما تتطلبه تلك  
العظام العريضة العارية من رقد ومعونة .. ومن ثم تطير

روحي .. أو تهوى فلا يدري ..

وإذا بسمت لقاتله هذه ، وبى من الجهد والاعياء لهذه  
البسمة كما لو قت بضراب ونزال عنيفين .. جابهني في دهشة  
- أتبسم للموت ؟ .. -

- بل أسخر .. من .. الحياة .. وأكاد أدلفها الى مسمعه  
كما تدلف من فم المحتضر كلمة الوداع مقطعة الاوصال مهشمة  
الحروف اذا وعى أن تكون آخر ما يعاني من وصب في الحياة  
آه .. وتلك التي مالت الى تسألني فيما يشبه الضراعة أن  
أطوى تلك الورقة ، وأوفر على نفسي عناءها ..  
فلا شمعن ضرعك يا أماء

وعانت أن تنزع القرطاس في رفق وفي لين ، فوكفت  
دمعة من عينها على قبضتي الوعرة الشاحبة

لقد خدرت تلك العبرة ذراعى . بعد أن تفجرت  
ينبوعاً سرى إلى نفسي التي أقحطها وموقها الى الموت ويأسها  
من الحياة . وشعرت بعدها ، نعم بعدها ، أنه لزام على أن

أحيا.. وحسي أن أخلص من السكد والعذاب تلك الأم  
الصابرة، والحارسة الساهرة

وحاولت أن أستعين بذلك ينبوع السارى، أو بنشوة  
تلك الحمر الالهية، أو نفثة ذلك السحر الملائكي، أو رجفة ذلك  
الطرب المتفجر، واستمد قوة أبسط بها ذراعى المنهوكتين  
لا تطوقها وأسألها الففران ..

فما قدرتا.. وتخاذلتا على الوثير.. وشعرت هى بما جاش  
فى نفسى وتكهننت عن الأمل الذي التهمت له عيني  
فتناولت يدي الواهنة ورفعتها ثم ضمتها الى فؤادها وقالت  
ألا تنسى يا ولدى أنك ما زلت مريضاً؟ لقد غفيت  
محمد الله وزال عنك صعب السقام وما بقي إلا الهين ..  
أنت فى طريق الشفاء

فاجابت عيوني جوابها الصامت البليغ، وأطبقت جفنى  
كما تنطبق الشفاه على كلمة الرضى والأيجاب. ثم بعد برهة استنامت  
محاجري على نظراتها وهى تفيض امتناناً لله وعظماً على وتحناناً

٢٢ أبريل

وعقد الكرى أجفاني ، وهجمت الروح ساعة أو يزيد  
وانحدر الوعي الى مشوى الأَحلام يروده ويستوردها ،  
وتحرك فيما تحت شعوري وضمي على روجي الناعسة ذاك  
الاحساس الوليد ، ذاك الأمل الجديد الذي ساقه الى حنيني  
الى الحياة . . واجتلت لخاطري معاني ذلك الأمل وتجسست  
في صور حية وألوان ماموسة من الوجود . . وتراءى لي  
فيما حامت وقتذاك وهدة داسنة ظلماء . . تردت فيها ،  
وكاد يطبق أنفاسي قرارها الغائر . وسرعان ما أحسست  
ذراعاً مفتولة تتناول وتمتد كجبل الدلو تبغى لي نشلاً  
وإنقاذاً وتمشت الى أذني مع ما كاد يصيبها من الصمم لهول  
ذلك الحدث ورهبة وقعه ، مثل الرعود القاصفة ، والامواج  
الهائجة المتلاطمة ، كأنما (نبتون) المخيف قد ثارت ثورته ،  
وحقت على السكون غضبته ، وانبرى يشهد الطبيعة سطوته وملا  
الفضاء صفير الريح وعواها . فصعقت لزجرتها وأزيرها الآذان

وبينما قلبي الواجف يتعالى وجيبه المضطرب ويتزايد ، إذا  
بأنات مستعذبة وآهات تستشفها وتنتشى لها مسامعي ،  
رغم ذلك الهرج الصارم المتعالى ، فينسيني كرب ما أعي  
وما يكتنفي . . وما باليت بعدها بما أنثال على وانها  
وأصعدتني تلك اليد الى ضوء الحياة علي لحن ذلك  
الأنين الخافت وترديده ، فاذا به يتعالى حثيثاً على الضوضاء  
حتى يغفو أثرها ، وإذا بروح الشجن تذوي منه وتخفت  
حتى تبعد . . ويحول نغمها بلبلا شاديا ورجعاً فاتنا مطربا . .  
ولم أكن قد سمعت موسيقى أرضية تحاكيها . . ولم  
أكن قد دريت أن يكون بسيلها نفثات من السحر تلتام  
لمسها الأفتدة الجريحة الدامية . . أو أن يشع لترديدها  
السنة من الوهج الخاطف ، تغتال ما قد يصفح ويعشى باطن  
الصدور ، ويطل القلوب من ظلمة حالكة . أو أن بها وحيًا  
من الجلال وإلهاماً يبعثه رسول الجمال لتعزي به النفوس  
التي ذاقت عنت الحياة وصرامتها فباتت يائسة . .

وأحسست أنني أغتسل بفيضها الصافي وسيلها المتأرجح  
مما قد علق بالنفس من شوائب البغض والكراهية للحياة  
وعلائم اليأس منها . . وعدت وبى من طهارة ذلك  
الفسول حمية وشنف الى استساغتها والتمتع بها  
وجرى دم الحياة الصحيحة الفقية في عروقي وتدفق . .  
وقمت أرهف الأذن نحو ذلك اللحن السحري . أو أسرح  
النظر في ذلك النور السماوى

وتحت شجرة وارفة لا أعلم اسمها . . تبعت على  
الأرض مديد فيثا ، وتشاطر طراوة النسيم وبلته ظلها  
وعيرها ، شهدت شبحين فى برود أشد من الثلج نصوعاً  
وبياضاً . ولم أتميزهما بعدما بينى وبينهما ، فوسعت خطواتى  
نحوهما . وكنت كلما زدت خطوا تبين لى النغم أسحر  
روعة وأحلى وقما على السمع وما قربت حتى تبينتهما من  
خلال الغصون الوارفة ، وذوائب الأفنان المدلاة  
أمي . . و« هي » . . عذراء لى بها صلة رحم وقربى . . كانتا

تنشّدان سويا ..

والحال صرخت أمّاه ! .. ثم أنت ؟ أمن أجلكما

حييت ؟ ..

وقبل أن أرى بنفسى بين أحضانها ، وتطوقنى اذرعها  
المبسوطة ، تلفت دهشاً لأرى فى الحلم أين أنا ! .. فوقمت  
عيني على الهوة السحيقة بعينها وكانت قريبة منى فاعرة  
فاها المغم

وأسرعت الى أمى والى قريبتى لتطوقانى ، ولا أدرى أمن  
الهول والوجل ، أم من رجفة الطرب

٢٣ ابريل

حلم الأمس .. لشد ما يامع فى الدهن وميض متقطع من  
الفكر ، فتبرز على صفحته فى جلاء ، أسراب صوره وأطيافها  
لا زلت اذكر ساعة جلا النور عيني ، ودبت اليقظة  
فى نفسى ، فتبينت أمى تربت على كتفى الحطيم ، بعد أن

أفزعها واستنز الروع من قلبها صرختي الحائلة وسألتني  
في حيرة ماذا بك حرسك الله ووقاك ؟ ..

فتأملت سادراً مذهولاً صندحة وجهها وهي تشع عطفا  
ووجلا ، وكان ما زال يستولي على مشاعري صدى ألحان  
الكرى وأخيلته وأطيافه فلم أصب مما قالته مني ، ولم أزد  
على أن سألت  
أين ؟ أين هي ؟ ..

— هي ؟ .. من ياولدي ؟ ..

وخدعني وهم الحلم المتسلط وأثره الملع ، وزعمت أنني كنت  
في يقظة حقة ، أو أنني استمررت في حلم مائل  
فقلت في صوت حنون

ألم تنشدا سويا ؟ ..

وبدرت مني لفظة بطيئة مريضة الى سماء الغرفة ، وتحركت  
حدقتاي يَمْنَةً وَيَسْرَةً ، تبغيان مكن ذلك الالحن السماوي ،  
أو نبع ذلك النور الطاهر البهي ، حتى كلمتا بعد يأس ، ولم

يأوَّ بصري الحائر أخيراً إلا على ذلك الوجه الرؤوم  
وما زالت تتسلط على وتستقر عيونه الفرعة ، لشدة  
ما استسر عليها وخفي من أمر افكارى ولما شغلها اذ رأت  
ما اعترانى وأقلقنى

وقالت بعد برهة فى رفق ودعابة ، بعد أن أضاءت  
ثناياها عن بسمه مقتضبة اغتصابا ، طالما تفرتها عن أن  
توحى بها نفسها المريرة ، بعثها ترف عليها الكلفة ويطلبها  
المرح الزائف ، لتنفث فى روعي طمانينة ، ولتثيب الى  
رشدى الفاقد ، ووعى الداهل .

أكنت تحلم ؟ . ثم اكتست ابتسامتها رونقا وضياء  
طال بعادها عنها ، لما اختزن فى صدرها من شوائب الكدر  
وعبوسة الهم . وبعد أن افصححت أسارى وجهى عن  
علائم الايجاب والرضى ثم الغبطة والسعادة ، اللتان دفعهما  
الى استنامتى الى الصدى واستمتاعى بالجنه وسحر إيقاعه  
فى أغوار نفسى

وسألتني في نبرات كتلك التي تسود حديث أم لطنلها  
الفرير وماذا رأيت في حملك؟ ..

وصفت لها الهوة الخربة الرهيبة ، يملؤها ظلام أدكن  
من خنادق القبور ، كأنما تجمت في نشيد عوت به تلك  
الظلمات ، زجاجة الريح العاتية ، ورعود السماء ، وتطاحن  
الامواج وارتماها . ثم تلك اليد التي مدت تبغى نجاتي  
وخلال ذلك الضجيج وبيننا تلك اليد تملو لتشرف بي  
ثانية على الحياة ، إذا بكما تسمعانى تسبيحة الحياة . وقتها  
ممزوجة ببسمة مريضة

- نسمعك !! من ؟ ..

- أنت مع عايذة .. ما كان أجملها وهي في رداء أبيض  
جذاب كذلك الذي يرتديه العذارى يوم يستقبلن زفافهن  
وكان جمالها يشع فتنة واشراقا فيماذا تفسرين ذلك يا أماء ؟  
- أبشر يا بني بالعافية الآجلة . لقد انقذك الله من  
وهدة الـ .. المرض وأتكنن أنها كادت تقولها وهدة الموت

ونشلك والحمد لله . ثم سكت  
واستلهمت عينيها القريحتين فاذا بهما قد اخضلتا  
بالدموع وعرفت غبطة روحها من وجهها . . وهى ذوب  
اليأس المظلم والالم المقيم الى شئرى الاشعث وهى تنحنى  
لتلثم جبهتى وتقول .  
- ستسعد يا حامد . . .

٢٤ أبريل

وهبطت لى الحياة ثانية كالمطرة السانحة ، تقتل الاحمال  
والجذب وتنفض الخصب . وأصبحت أحس الدم الجديد  
ينحدر من القلب دفاقا عنيفا كأنما ينبع من قلبين أو  
ينساب ليغذو روحين وهو مع ما ينبعث فيه من قوة الحياة  
الصحيحة وما يتخلله من حمة الشباب النضير ، يحمل دفئا  
تنثى له نفسى وتطرب ، وأنى لأستشعر قطراته كأنما  
ينبجس منها لحررتها القانية مثل القبس اللامع ، يشع أمام

الدهن فتبدو يا المسمامة .. صورة ربيع الحياة .. وتعود  
المخيلة لشدة ما يصيبني من الجزل تستعيد ذكرى الماضي  
البنيفض ، فلا أرى حياتى كانت فيه الا خريفًا .. بل  
خريف اجتمعت الى جانب إغنيات الكآبة فيه ، والجفاف  
من نضرة الحياة وجمالها وأزاهيرها ، أعاصير تصوح بما  
يعلل النفس من الأمنى والآمال ..

الماضى ! ! ! . . . سقيم هزيل . . . عزلة لا نصيب  
للروح فيها بخذن أو أنيس . . . والنفس كانت تبغض معسول  
الاحلام أو هذه كانت تمجها . والقلب كان صافيًا ساذجًا  
تشرق عليه مظلمة اليأس .. فيعتم هو الآخر ويجلله سواد .  
وحسناء الحرية المخنوقة ، وكانت تستسر عني إلا وهى فى  
أغلالها وقيودها . . . وكنت إذا ما حننت الى نشدائها  
مفكوكة الأسر طليقة ، إذا بهاتف من خيالى الصدىء  
يحاورنى ..

— أتدرى أين تسبح الحرية وأين تسكن .. أتدرى

أين ينبعث ضوءها الوهاج ويتناثر سناها البهي ؟ .. وأصبح  
يكل حواسي أستلهم نبأه .. فأسمع صوتاً تجلجلا ينادي من  
غور بعيد

تعال هنا تجدها ... في القبور .. في القبور ..  
والآن يترأى لي الهاجس بعد أن تهج تلك الاشعاع  
في نفسي ، وأحس به يدلف متقمصاً طيفاً ملائكياً جميلاً ،  
أشعر لدى لقيانه كأنما قد زابتني الوحشة والسآمة ..

\*\*\*

واليوم تأملت في يقطتي الحاملة ذاك الشبح الزائر ،  
ذاك الانيس الهابط ، بعد أن ترأى لي وكأنما هطلت  
على من السماء لقدمه ديمة من السعادة وطفاء .. فاذا به  
طيفها .. عائده ..

٢٥ ابريل

وصحوت اليوم فاذا بالظامة قد شفت نسجها ، وبدأت

تطوى رويداً رويداً سدولها ، والفجر ينتضى إشراقه ويلوح  
من وراء ذلك النقاب الواهن وتنفذ الى منه خيوط فضية  
منبثقة من خلال الأستار والسجوف . .

وشاع في نفسي سيل من ذلك الجمال الطبيعي فغمرها .  
وأحسست أنى أصبحت قطعة منه أو هو بعث في روحي  
نسمة من روحه النقية الفاتنة ودفعني خاطر قوى الى  
النهوض من مهدى المملول . حتى لا أحرِم النفس من أن  
تستلم كل عناصر الطبيعة وفتنّها ، وشعرت وقتئذ بالعاقة  
تدب في بدني وتزكو ، وكأنا الجسم حال ترة بعد نحول  
فقمّت الى النافذة . . وأزحت الاستار . . ثم امتدت عيني  
وخاضت برهة ذاك الحسن في ثوب البكور . . ولم أتمالك  
نفسى من أن ابعثها صيحة جريئة وسط ذلك السكون . .  
ما أجمل الطبيعة . . ونض في عن ابتسامة بعد أن خيل إلى  
أن ذلك النور اللجيني المتناثر هو بسمّة الطبيعة تحي بها ذلك  
الانسان الشاحب أمامها .

ولكن الفجر كان عجلاً يظن بان يقف طويلاً أو  
حتى يتمهل ويتريث . . . وابتدأ ينحدر ويتراجع في سكونه  
ورهبته حتى فنى في نور الصباح الذهبي . .  
ولو بقيت يا فجر لأهجت الجمال والبشر في النفوس  
لدى رؤياك . .

ولرقت افئدة مرحاً من اجلك وخفقت طرباً .  
ولتست عيون قريحة من اشعثات السماوية وتغزت  
ولطمست بسيل نورك في جوانب السكون ثموماً  
وأثراحاً . .

ولرأت السكل ما بين مهلل ومكبر ، تنسل منه  
بسمة الشجر الى روحك الخلابه ووجهك الوسيم . . .  
حتى الزهر والورود بكت فوق الربى لرحيلك .  
سندس وريحان ورجس وياسمين وافنان . . تندت  
كلها بالعبرات وبكت طلاً . .

ولكن من يدري يا فجر . . فقد يكون فرط

الخيور غلبها القدوم الصباح فبرت وبكت ..  
هي اذن شئون السعادة ..

ولسكن ما أروع ظلمتك المضيئة واجل سكونك  
الرهيب ..

والطير الراقص يترنم وينى ..  
والعنادل واليمام تهدل ..

تنشد ألحاناً عذبة وتغما زلالا ..

أصبحت لا اعرف الحزن والهم يا فجر فأقول إنها مكتوبة  
لنيابك ..

أصبحت روحي لا يشوي بها الاطرب .. وجمال .. وشيء

آخر يا فجر .. هو ؟ . لعله الحب ! .. نعم هو ..  
عائده ... أهواك ..

٢٦ أبريل

— حامد ... حامد ...

— عابده ...؟

لم أكن قد شهدتها وقتما هبطت على مسمعي صوتها  
الرحيم الموموق ، ولم احس آنذاك شيئاً عدا الصرخة  
الرفيعة ، امتزج شجنها الحليس ، وألمها الكظيم ، بغبطة  
مفاجئة

نداء من أعمق أغوار القلب بشته سعادة طغت على  
روحها الالهة وصفت ، ولكنها لم تطمس معالم الالم وآثاره  
عن ان تجتلي في نبراته وتبين

واستقبلت هتافها بكل حواسي ، وكأنما كانت مشاعري  
متطلعة اليه متوثبة له . وفي مثل ما بين انطباق جفن  
وانقراجة أحسست أحساس الظمان الالهف قد التمع في  
الاحظة التي كاد يحف فيها حلقه ، وتهلك روحه ، وتطيح  
نفسه ، عيناً من عيون اللجنة يهوى سلسيلها الزلال

وكوثرها العذب ..

كنت وقتذاك منفرداً بالحديقة ، جالساً على مقعد صغير أقلب صفحات الرسائل التي بعث إلي بها اصدقائي ورفقتي ، فاذا ببعضها يحمله أصعابه عتالاً وتأنيداً ، وآخر شوقاً حاراً وفسكاهة جميلة

وكنت أتلوها في شئ من التأمل والروية ، وإعمال الذهن الذي انبعث خيوطه خلال السطور فما كان يهي الاها ولكن لم يكن ذلك أو أى شئ في الوجود ليحول دون ان يتعرف الفؤاد صوت ثأويته الجميلة ، وباعثة ، نسمة الحياة الى حباته ، ومبيدة ظلمة الهم واليأس من جنباته ، وعجيبة المواطن المدرجة بين صفحاته وفي سويدائه

وصرخت باسمها بعد أن أحسست كأنما سراج الحياة بالقلب قد خبا في مثل لحظة البرق ثم ومض وكان وميضه وهاجاً تفجر في انحاء البدن لذة واتعاشاً ، غانتفضت واقفاً وتلفت حوالى ولكن ألم ر شيئاً

وخيل الى ان غمامة قد غشيت عيني فلم تعد تبصر  
شيئا، وزعمت اني قد احسها بيدي فامتدتا في الفضاء  
كيدى الاعمي كأنما تتامسان شيئا محجوبا وفي تلك  
البرهة عينها نبه مشاعري المخدرة سماعي طرعا عني  
وسألت الخادم المذمورة من يطرق ؟  
فأجاب الملاك انا

وأحسستها هذه المرة تفرها صافية من معاني الألم  
فتبعت في الفضاء أنفاس النبطة والسعادة . وخلق القلب  
خفقة أخرى تفجرت في روعي املا وطربا وأحلاما معسولة  
وفتح الباب ، واندفعت منه تجرى ، وقفزت درج  
الحديقة ثم ارتمت في احضانى وطوقتها أذرعى وما  
حريت بعدها انى فى لحظة . .

## صوت السود

... وتلك الثغور المفتحة الباسمة ، يقابلك بها صاحبها  
فيتسع انفراجها عن مثل اللؤلؤ الوضاء ...

وتناك الذراعان يبسطها خلك الزائف ليتلوقاك بها  
مدعياً حرارة الشوق ساعة اللقاء ...

وما قيـه تلمع لقدمك وتتسع كأنما انبثق منها سناء أو أتاها  
تور من السماء ..

وتلك القهوة الرنانة والضئيلة المتكاثفة ، التي لو دريت سرها  
وعرفت كنهها ، لبغضبتها واستأنست من الذئب بالعواء ..

إن هي إلا صور من خيالة الحياة .. وهل لما يرى على  
اللوحة الفضية من بقاء ؟ ..

\*\*\*

لا يفرنك يا فتى أن يكيل لك خلك الزائف طيب المدح  
وعاطر الشناء ...

وإذا ما انساب من تحت لسانه فيض من شموو تخاله

صادقا ، فلا تطمئن اليه ، وثق انه خائن من الاوفياء .  
وتروح له تفشى سرك وما يداخل نفسك ، بعد أن غاب  
عن فطنتك مكر و الرياء . . .

وبعدها . . نعم بعدها تقشع التجارب الغيوم وتبدو لك  
الحقيقة المرة أجلى من ذكاء . .

وتندم حيث لا ينفع الندم على ود بادلتك انسانا وفاتك أن  
غرسه كان في صحراء . .

وتروح تجمع شتات ما بحث به ، ولكن هيهات أن تجمع  
الاسرار من هباء . . .

\*\*\*

عرفت خدنين تمت في قلوبهما وترعرعت بذور الفة وصداقة  
وولاء . . .

وزادهما مر الايام وكر العشى رسوخاً وثباتاً ونماء . . .  
وهتف كل من شهد أمرهما ووقف على جليلة حالهما أن نعم  
الود ونعم الصفاء . . .

والكل يوقن أن محبة كتاك سوف تدوم حتى يمدو على  
شخصيها الغناء . . .

\*\*\*

مرت سنون فاذا بأحدهما يشقى بعد نعيم وتسميه الخصاصة  
بعد رخاء . . .

كان غنياً فاطاح القدر بماله وذهب بذهابه عهد الرفاء . . .  
فذهب إلى صديق الروح يشكو ويشن فاذا . . . إذا بأذن  
الخال صماء . .

وبات المسكين يتحسر ويتوجم ، ويرثى بدسوعه عهدين  
وليا . . عهد الفناء وعهد الوفاء . . .

ولم يهن على نفسه العزيزة الخطب . . . فانتحر . . . وذهبت  
روحه المعذبة إلى ربها في السماء . .

وقصبت مع جمع ممن يعرفه أمه التكلي تقدم لها في غرفتها  
الخطيمة واجب العزاء . . .

وبعد برهة مدت الى يدها بورقة تستفسرنى ما بها فقرأت  
ملبياً النداء ..

« أماء كلما همت لأكتب لك كلمة قبل رجلى تذكرت  
البشر وأنانيتهم ، والأصدقاء وختلهم فجاشت نفسى تبغى  
البسقاء ..

لكننى اليوم قاب قوسين من القبر أو أدنى ، فاذ ، لا ينك  
المحتضر ليسدى اليك نصيحاً له فى قبورك أياه كل أمل  
ورجاء ..

لا تثقى فى أحد من ناس هذا العالم .. فأصدقائه أوفياء أيام  
سعدك وليسوا كذلك يوم تنهال عليك الارزاء ..

هم شجعان كرماء ولكن سرعان ما يغادرونك ويتسللون  
من حولك فى جهن عندما تنو الى عليك أيام البلاء ..

أماء .. نصيحتى هناك الدير .. ترهبى .. هناك الايمان  
وهناك الم .. ز .. »

في ليلة العيد

إيقون .. غدا تبدين جميلة فتانة في ثياب العيد ..

غدا تلوحين مع الفجر مبكرة وعلى ثفرك بسملة الدار

والسرور ...

وتحسين السعادة تغمرك والمرح يغمم فؤادك الصغير ..

لأشياء سوى أن اليوم عيد ..

\*\*\*

وتقومين جزلة طروبا ، تنشدين والديك وأخواتك ،

وتنفضين عنهم غبار النعاس ..

وتهتفين لهم في صوتك السحري الرخيم ، بما يبعثه قلبك

الرقيق الحنون ..

وتهنئينهم وتسألين لهم من الله الصحة والهناء .

والكل يردد لك مثل ما تسألين .

\*\*\*

واسكن قلبا يدعو لك الأهل أو تستقبل مسامعهم ذاك النداء

قبلما يحياك من بالدار ويبدرن لك المطف، والحنان ..  
اكون قد استيقظت يا إيفون وزارني طيفك السابي الجميل ..  
اكون قد استيقظت يا ملاكي لأُضرع وأُصلي صلاة  
القلب الأمين ..

ولأُطلب لك السعادة في هذا اليوم المنشود وباقي أيام  
حياتك ..

وأبتهل اليه ليملاً قلبك بحبي ، فتحيا أسعد من في الوجود  
ويسطر لنا في لوحة القدر أن أكون لك وتكوني لي ..

وساعة ينهض الفجر الباسم من نومه  
ويدفع عنه ثوبا واهنا من السكرى والحمول ..  
فيأوح وضاء الوجه ، يزفر النسائم وينشر النور  
وتهبط الطيور من أوكارها ، وتنشد مفردة على غصون  
الأشجار والدوح  
في تلك الهجمة الشاملة والسكون المخيم على الكون

يتخلله صوت الديكة الصائحة ..  
بينما يغمرك النوم الهادئ الجميل ...  
سوف يمزج النسيم الندي بأناتي وتضرعاتي ويحمل اليك  
عبق حبي وعبيره كشذى البخور .  
وسرعان ما يستنشقه قلبك النقي الصغير  
فيخفق خفقان اللذة إذ تعلم أننى أصلى من أبدالك بحرارة  
وخشوع .  
وتجسبن وقتذاك يا إيفون بالأحلام الطاهرة والاخيلة  
الجميلة والأطياف .  
وترين الملائكة يتغنمون حولك ويرفرفون باجنحتهم  
ويرقصون ..

\*\*\*

وإذا ما أشرقت الغزالة وانتشر نورها لما ما فى الفضاء ..  
تقومين فرحة طروباً لا شىء سوى أن اليوم عيد ..

## ﴿ كلمة شكر واجبة ﴾

وان فاتي اليوم أن أشيد بنبوغ الاستاذ الفنان  
« فارس » فلا اقل من ان أن ابعث عبارة شكر منا لما  
تجلى فيما اتخف به الكتاب من جبال الخط وروعته .

والاستاذ يرحب بمن يقصده في ورشته زكوفراف مصر  
شارع محمد علي . ومطبعة الآداب الحديثة بشارع قصر الأولياء  
نمرة ٥ بالنجالة بمصر

لانتقلقوا بعد اليوم على مطبوعاتكم

اقصدوا دوماً مطبعة الاداب الحديثة

إذا رغبت في انجاز اعمال الطبع من كتب ومجلات

واشغال تجارية ، وكتب هندسية بأمان متهاودة ومواعيد

مضمبوطة